

الحسين بن علي

فيذكر محمد بن عبد الله

« على الله عليه وسلم »

انشأه مقتصدًا على اللغات العربية ، وبحوث المستشرقين

عمر الوالصر

obeikandi.com

عني بطبعها ونشره

محمد جمال
صاحب المكتبة الأهلية

obeikandi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

كنت الى ايام خلت احاور نفسي في ما يسعني من الوقت
طال او قصر ، لارسال كلمة تتقدم فصول هذا الكتاب ، اتناول فيها
مواضيعه وبحوثه وفصوله وطريقة تأليفه ووضعه ، بشي من التفصيل
والابضاح ، ثم بدا لي ان لا افعل من هذا شيئاً ، وان اترك
كتابي يسير سبيله بين الناس ، مكلوم القواد ، دامي الاطراف
دامع العين ، ممزق العاطفة

ولو انني اردت من ذلك شيئاً لكان حتماً علي ان اتناول
بالبحث والنقد من سبقني من المؤلفين ، وانتظم قبل كتابي من
الكتب والمؤلفات ، وليس هؤلاء بالعدد القليل ، وقد ذهب كل
واحد منهم فيما اودع كتابه مذهباً من الفهم والبحث والتحقيق
والاعراب عما يريد ، بلائم الوقت الذي انشأ فيه ، وبماثل الموضوع
الذي اختاره ، ويتقارب مع ذهنيته وعقيدته ونظره الى هذه

الاحداث التاريخية الغابرة ، نظرة قد تكون قريبة من الحقيقة او بعيدة عنها ، او هي الحقيقة كلها ، ولو اردنا ان نعرض لهذا كله وتلطف في مجته ونقدمه وتحقيقه لتولينا قارئاً كتابنا بالعناء الكثير ، والنصب الوفير ، ولخرج كتابنا بضرب في غير موضوعه ، وبعرض لغير ما نشأ له .

و كتابنا هذا يعرض لتاريخ الامام الحسين عرضاً جديداً ، فيتناول الاسباب التي حدثت بالامام الى المطالبة بالخلافة والتشهير نحو الكوفة ، ثم تبسط في ذلك تبسطاً افره لمنطق ، وروح له وفرة الاخبار ، وايدى العقل ، وكل ذلك في نبوب وتقسيم وتعليق دقيق على الاحداث والوقائع ، مما نحسب انه من الطرافة بالمكان الارفع ، خصوصاً ما عرضنا له من بحوث مستشرقي الفرنجة في هذا الموضوع ، وبذلك خرج كتابنا والحالة هذه بتنظيم في جدة نظائرها تصادف التأييد المرغوب عند جمهرة القراء ، ومحبي الامام وعشيرته ، وآل بيته ، صلوات الله عليهم اجمعين .

وليس يستطيع المؤرخ ان يعرض للرزء العظيم ومقتل الامام الشهيد دون ما تبسط في الاحداث التي سبقت ، والاسباب

التي تقدمت ، خصوصاً وان ثورة الامام الشهيد على النظام القائم
وحكم يزيد بن معاوية لم تكن من الامور التي وقعت ارتجالاً ،
وحدثت دون ما اسباب سابقة لعبت دورها في الترويج لها وتكوينها
حتى كانت الفاجعة وحصلت الواقعة ، ولذلك رأينا ان نعرض بشيء
كثير من القصد الى الاسباب التي مكنت لمعاوية في الملك ، وما
دعاه الى تفضيل يزيد ومبايعته بالولاية من بعده ، وان تصدر ذلك
بصورة موجزة لامير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه ،
يتفهم معها قاري كتابنا هذا ، عوامل الخصومة التي انتضحت بين
الحزبين ، واستطارت بين السياستين ، وكان حقاً عليها ان تمتد الى
ابناء الرجلين ، وان تشدد الخصومة بين الابناء بمثل ما اشتدت به
بين الاءاء ، وما كان لذلك كله من اسباب ونتائج ومصائر في
التاريخ والاسلام

وقد توفرت كل التوفر على ان لا يضطرب كتابي هذا الا
بما ابده الثقات من المؤرخين ، والمشاهير من المؤلفين ، خصوصاً
وقد كانت ثورة الامام علي بن يزيد ، ثورة الامة على حاكم لا يصلح
للحكم ، وامام لم يتوفر فيه ما يجب ان يتوفر في الملك الحاكم
والامام القائم من عدل واخلاق ، وعلم وايمان
وفي هذا ما يدل على ان الاسلام لا يؤيد الحاكم الطاغية

ولا الامير العاتي ، بل انه ليذهب الى اكثر من هذا ، فيأمر المسلمين
بانكاره وحربه ، فمقام الحكم لا يجب ان يتصل بغير الافاضل من
القوم ، الخالص من البشر ، الذين يقسطون بين الناس ، ويقومون
العدل ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر

١٣٥٣

شعبان

١٩٣٤

كانون الاول



مصادر الكتاب

لقد اعتمدنا في وضع هذا الكتاب وانشائه على مصادر كثيرة
نجتزئ بذكر اشهرها واهمها :

مصادر عربية

تاريخ ابن الاثير

الطاهري

الفخري

اسد الغابة

عصر المأمون

تاريخ الخلفاء الراشدين للنجار

اليعقوبي

مقاتل الطالبين

البلاذري

العقد الفريد

تاريخ ابن عساكر

مصادر افرنجية

يزيد الاول تأليف لامنس

معاوية

تاريخ الخلفاء السرمويز

دائرة المعارف الاسلامية

الانكليزية

البرنس كيتاني الايطالي

آل البيت وعقبرم في الخوفا

لعل مقتل الامام الشهيد ابي عبد الله الحسين رضي الله عنه من اكبر الاسباب التي عملت على تبسط فكره التشيع بين جماعات المسلمين ، فغذتها وقوتها حتى اصبحت ولها من الشأن في مصاير الاسلام ما هو معروف ومشهور .

وقد ذهب المستشرقون بويدون هذه الظاهرة ، واغرق بعضهم فذهب يقول : «لولا مقتل الحسين عليه السلام لما كانت هناك شيعة في الاسلام» وهو قول ليس بالامكان اقراره خصوصاً وان فكرة التشيع لامير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه الصلاة والسلام ظهرت عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما برحت قوية بارزة ، حتى مقتل الامام الشهيد ابي عبد الله الحسين ؛ وان كنا لا ننكر ان مقتل الحسين كان من العوامل الخطيرة في تغذية النظرية وتقويتها وتبسطها وانتشارها .

ولقد شغلت مسألة الخلافة رجالات الاسلام اول عهدهم بالحكم والسلطان فاختلفوا فيها وتقطعت آراؤهم ، وذهبوا في تفسيرها مذاهب لا يتفق واحد مع رفيقه فيما يختص بشأنها ويتعلق بها .

وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يعين خلفه ، واحس المسلمون بعد وفاة الرسول بضرورة اختيار خلف له ، بتولاهم بالنصيحة ، ويرعاهم بالعناية ؛ وينظر في شؤون حريهم وصلاتهم وزكاتهم ويفصل فيما يقع بينهم من خصومات ، وما يستطير من منازعات ، واذا كانوا قد اتفقوا على ضرورة اختيار الخلف ، فقد اختلفوا في الخليفة ، فذهب الانصار يريدونه منهم ، وحجتهم في ذلك انهم هم الذين نصروا رسول الله ونصروا دينه ، وكانوا معه على عدوه حتى خضعت له جزيرة العرب ، وقد توفي رسول الله وهو عنهم راض ، وبهم قدير عين

و كانت حجة المهاجرين انهم اول من آمن به ، وصبروا معه على الاذى ، ولم يستوحشوا لقلة عددهم وهم قومه وعشيرته ، وهم من قريش ، والعرب لا تدين الا لهم ، ولا تقر بعزة ومنعة خير عزتهم ومنعتهم ، فهم اولى بالخلافة من غيرهم ، فلما عرض الانصار ان يكون منهم امير ومن المهاجرين امير ، رفض المهاجرون ذلك واشتد الحوار بين الفريقين في سقيفة بني ساعدة ، حتى تمت البيعة لابي بكر الصديق المهاجر التيمي القرشي .

فلما تمت بيعة الصديق انكر الامام علي بن ابي طالب ذلك ، وقال ان الخلافة يجب ان تكون في بيت رسول الله ، وان اقرب

الناس الى النبي اولى ان يخلفوه ، وان بيت بني هاشم خير من بيت
ابي بكر ، وان العرب للاولين اطوع ، وقد احتج المهاجرون على
الانصار في السقيفة بانهم قوم النبي وعشيرته ، قال النبي والحالة
هذه اولى من غيرهم واحق من سواهم

وشغل المسلمون بالفتح والانتصارات ايام ابي بكر وعمر رضي
الله عنهما ، فتناسوا امر الخلافة وحق آل البيت بها ، ولم يعرضوا لها ،
حتى كانت خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وهو اموي ، وقد
راح يستعين بالامويين دون غيرهم ، بوليهم المناصب ويغدق عليهم
العطايا والهبات ، فانكر المسلمون عليه ذلك ، واغرق خصومه في
اتكازهم فحاصروه وقتلوه ، وباع الناس بالخلافة بعد قتله ، الامام
علي رضي الله عنه ، فتفوت عندئذ فكرة التشيع لآل البيت ،
وزهد انصار الامام يقولون : ان الامامة ليست من المصالح العامة
التي نفوض الى نظر الامة ، وبتعين القائمين بها تعييناً باختيار جماعة
المسلمين وانتخابهم ، بل هي ركن الدين ، وقاعدة الاسلام ، ولا
يجوز لنبي اغفالها ، ولا تفويضها الى الامة ، بل يجب تعيين الامام
لهم ، وبكون الامام معصوماً من الكبائر والصغائر ، وان علياً
رضي الله عنه هو الذي عينه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وبوردون لذلك نصوصاً كثيرة ، ومن هنا نشأت فكرة الوصية

ولقب الامام علي بالوصي ، يروجون بذلك الى ان رسول الله اوصى
لعلي بالخلافة من بعده وانه والحالة هذه وصي رسول الله .

وهذه النظرية هي التي حملت المسلمين بعد مقتل الامام علي
على البيعة بالخلافة لابنه الحسن رضي الله عنه ، وهي التي حملت الحسين
رضي الله عنه على معاناة شقيقه الاكبر الحسن لما راح هذا يتنازل
عن الخلافة لمعاوية بن ابي سفيان ، وهي التي دعت الحسين بعد ذلك
ان يرفض مبايعة يزيد ، وحملت مسلمى العراق وغيرهم على
دعوته اليهم ، يبايعونه وبوء بدونه وينصرونه

ولقد كانت الجماعات الاسلامية بعد موت معاوية مضطربة
في عدة احزاب قوية ، نستطيع ان نسميها ونخصيها : فحزب قد
التف حول بني امية في الشام بناصرهم ، ويريد ان يثبت لهم الملك ،
وثان قد التف حول البيت النبوي من بني هاشم وعلى رأسهم الحسين
ابن علي يدعوا الى ان تكون الخلافة لهم ، وثالث ينكر هذه
الاحزاب كلها ويرميها بالكفر وبصفها بالمروق من الدين ؛ وبثيرها
عليها حرباً شعواء ، وهو حزب الخوارج الذين ينكرون ان
تكون الخلافة في قبيلة او شعب دون شعب ، ويريدون ان يكون
الامر كله شورى بين المسلمين ، وكان الجهاديين هذه الجماعات
متصلاً عنيفاً منكر الاثر ، ولا سيما بعد ان مات معاوية وهلك

يزيد، وظهر عبد الله بن الزبير، فقد طغت الثورة الاهلية على المسلمين
فامتشقوا اميافهم بصوبونها الى صدور بعضهم بعضاً .

وظل الحال على هذا فترة من الزمن ، وفق فيها الامويون
آخر الامر ، الى القضاء على حزب عبد الله بن الزبير فمحوه محوً ،
وانتصروا على شيعة آل البيت النبوي ، فاضطروها الى معارضة
نظير متى اشتدت ، وتخفى متى اشتد البأس ، ولسكنها قائمة على
كل حال ، لما انصارها وشعروا بها ، وخطبوا بها ، ولم يثبت لبني
امية الا حزب الخوارج يجاهدون جهاداً عنيفاً ، حتى اذا انتصرو
عليه ، لم يضمف امره الا ربثا بقوى مرة اخرى

وما كان الحسين رضي الله عنه من اولئك الذين يطلبون
الخلافة لما يضطرب فيها من جاه وامجاد ، وانما كان رجلاً نزل عند
رغبة عامة المسلمين لما عرضوا عليه الخلافة وبايعوه ، وقد تقبل
ذلك منهم لما ادرك ان يزيداً بن معاوية غير صالح لها ، وليس من
اهلها واربابها ، فمشى عندئذ الى العراق ، بعد ان اغرق اهل
العراق في الكتابة اليه بالمسير اليهم ، والقعود الى امصارهم ،
وبعد ان بايعه من اهل الكوفة عدة آلاف من رجالهم واشرفهم
وكبارهم ، وبعد ان وعدوه النصر والتأييد والمعونة ، ومحاربة العدو
والوقوف معه في صعيد واحد ، وما سار اليهم رضي الله عنه الا

بعد ان استوثق من مبايعتهم له ، وبعد ان ارسل رسولا من قبله
 يبحث له الامر ، ويدرس له بواطن الامور ؛ فكتب له رسوله بالقدوم
 موعداً بذلك ما سبق ان وصل له رضي الله عنه من ، ^{تسليم} تسليم التوبة
 ورسائل التأيد والتعزية

وقد مشى الحسين الى الكوفة يحمل معه اهله وهو لا يريد
 حرباً ولا خصومة ، ولو كان يظن انه ملاق حرباً ، لما سار باهله
 وعياله ، ولو كان يريد فرقة او اختلافاً لظل مكانه في مكة وراح
 يحرض الناس على الفتنة ، ويدفعهم الى الثورة ، وهو ما ذهب بقول
 به بعض المستشرقين

فمسيره والحالة هذه بنفسه وعياله ، وبعض من يثق بهم من
 رجاله يومئذ ما نذهب اليه من انه كان يقصد الكوفة وهو موافق
 الايمان كما ان اهله معه ، وانهم قد بايعوه ، واقسموا ان
 يعضدوه ويومئدوه ، فلما كان في بعض الطريق وعرف ما طرأ على
 القوم من تبدل واخبر بانهم سيخذلونه ، عرض على خصومه ان
 يعود الى مكة ، وهو يقول :

« اما وقد تركتم معوانتنا ونقضتم بيعتكم ، فاني مغادركم
 لانه لا يصح لمثلي ان يحملكم على بيعته حملاً ، ويدعوكم الى
 تأييده بالقوة »

وفي هذا ما يدل على رغبة الامام رضي الله عنه بالمصالحة

والبعد عن الفتنة ، ولو كان خصومه مثله سلاماً وبعداً عن الثورة
 وتمزج الكلمة لا بدوه في خطته ، وتركوه وشأنه ، ولكنهم
 ردة ، تمزق الأمة ، ونطفو على حياتها ، وتعصف بما كانت
 تستمتع به من وحدة وقوة وإيجاد .



الامام علي بن ابي طالب

— رضي الله عنه —

ذهب بعض المؤرخين بخطأ التقدير ؛ وخطل الاسفاف ؛
فاوسعوا للخلافة بعد الخلفاء الراشدين في صدور الكتب مجالاً ؛
وذهبوا بروجون الى اتصالها بيني امية ، وغير بني امية ، والخلافة
في الواقع يجب ان تكون شورى بين الناس لا يتولاها الا من
توفرت فيه شروط بطمئن لها المسلمون ، فيرضونه اميراً لهم
حاكماً عليهم ، يسوسهم بالعدل ، ويتولاهم بالاحسان ، ويحكم بينهم
بالعسط والحق ، لا ضعيف عنده فيهم ، ولا قوي لديه بينهم ، ثم لا
تمتد يده الى بيت المال الا في ما يتصل بمصالح الرعية ، ولا يعهد
بعمل من اعماله لاحد من الناس الا ان يكون صادقاً مخلصاً نزيهاً
عادلاً ؛ وهذه امور ما توفرت لحكام بني امية الذين كانوا ملوكاً
توارثوا الملك ولداً عن والد ، وشقيقاً عن شقيق ، وراحوا
يتفرون على سياسة لا تتصل بسياسة الخلفاء الراشدين ، ولا تتعلق
بهم بشي ، كثير او قليل ، وكان كبيرهم معاوية ابن ابي سفيان اول

من من لهم هذه السياسة ، واختط لهم هذا السبيل ، ولقد اتفقت
 الخصومة بينه وبين امير المؤمنين علي بن ابي طالب في ما يتصل
 بهذه السياسة المثيرة للحفاظ ، والتي تبسطت الوانها في عهد عثمان
 ابن عفان رضي الله عنه ، يوم نفرت بعض القبائل العربية الى شي
 من الحزبية كان اخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم في عهده ، ومنع
 الناس عن التحدث بها والعودة اليها ، ذلك انها كانت استغلالاً
 لمرافق الحياة ومظاهر الحكم والسلطان لشيعه دون اخرى ، وفي
 هذا ما بنا في الوحدة القومية ، والاخوة الاسلامية ، التي ابدها
 القرآن ودعا اليها رسول الله دائماً وابدأ .

وليس من العسير على المؤرخ معرفة الاسباب التي دعت الى
 هذه الخصومة بين امير المؤمنين علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي
 سفيان ، ومن السهل الوقوع على الاسباب التي دفعت بعض القبائل العربية
 وبعض الجماعات الى تأييد معاوية دون امير المؤمنين ، وهو الامام
 القائم ، وخليفة المسلمين ، ذلك ان هذه الجماعات التي كانت ترغب
 في الاستمتاع بالحياة واجاد الحكم ، وسلطان الامارة بعد توفر
 الفتوحات الاسلامية ، ونبسطها في المعمور ، وندفق ثروة الامم
 المغلوبة الى خزائن العرب ، لم تجد في امير المؤمنين علي بن ابي طالب
 تأييداً لرغائبها ، ونشجيعاً لمطامعها ، بل لقد وجدت فيه على
 النقيض من كل هذا ، رجلاً صلب العود ، وحاماً قوي الشكيمة

يحاول ان يسير في الناس سنة الحق والعدل ، لا يغمط لضعيف حقاً ولا يترك الكبير ان يمشي في الارض مرحاً وان يبلغ الجبال طولاً ، وكان هذا شأنه مع بنيه وقرابته ، وانصاره وثقائه ، وخبر شقيقه عقيل معه مشهور معروف ، فقد حاول ان ينال من بيت مال المسلمين ما ليس من حقه ، فابى الامام عليه ذلك ، فقارقه ولحق بمعاوية فامر له بثلاثمائة الف دينار فقال عقيل عندئذ كئسه المشهورة :
« ان اخي خير لي في ديني ، ومعاوية خير لي في دنياي »

والواقع ان رجلاً يسير في الناس هذه السيرة ، ليس بعجيب ان لا يلتفت حوله طلاب الاغراض ، واصحاب المطامع ، ومن يريد عرض الدنيا ، ومن البداهة ان ينفروا عنه الى معاوية ، يؤبدونه ويساعدونه ويحاربون معه ، وينالون من بره وعطفه ومختلف خبراته ما ليس بصل اليهم شيء منه عند امير المؤمنين وخليفة المسلمين

واقدر كان الامام مؤثلاً دينياً ، وملاًذاً للشريعة ومثالاً للورع والاستمسك باحكام الكتاب ، وكان مصدراً خصباً من مصادر الفقه والتشريع ، وكان في حكومته وحروبه على السوء مؤثراً رضى الله . مغضياً شهوات الناس ، قارعاً اطاعها ، وكان عنواناً كاملاً لاسمى صفات الخلق الاسلامي من حيث النجدة والشجاعة لا الخدق والسياسة ، وكان مصلحاً دينياً بكل معاني الكلمة ، يعمل للآخرة قبل الاولى ويعمل لارضاء الله لا ارضاء الناس ، وكان

كما وصفه عدي بن حاتم معاوية « بقول عدلا وبحكم فصلا ، تنفجر
الحكمة من جوانبه والملم من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهوتها
ويأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير الدمعة طوبل الفكرة
يحاسب نفسه اذا خلا ، ويقاب كفيه على ما مضى ، يعجبه من
اللباس القصير ، ومن المعاش الحشن ، وكان فينا كاحدنا ؛ كان
بمعظم اهل الدين ، ويتعجب الى المساكين ، لا يخف القوي ظلمه
ولا يئس الضعيف من عدله ، فاقسم لقد رأيت له ليلة وقد مثل في
محرابه وارخى الليل سرياله وغارت نجومه ودموعه تتحادر على لحيته
وهو بتلمل تلمل السليم ويبكي بكاء الحزين فكأنني الآن اسمعه
وهو يقول : « يادنيا ألي تعرضت ام الي اقبلت ؛ غري غري لا
حان حينك قد طلقك ثلاثا لا رجعة لي فيك »

و كان كذلك مغرقا في التدقيق في محاسبة عماله حتى اغضب
اكثرهم ، وحتى خسر نصرتهم وفي جملتهم مصقلة بن هبيرة الشيباني
وابن عمه عبد الله بن عباس ، بعد ان كان من اكبر نصرائه ،
واغضب ابن الزبير وطلحة ، وكان بطوقه ان يضمهما اليه ، لم
يكتسب الى جانبه عمرو بن العاص ولم يقبل نصيحة ابن العباس
ولا المغيرة بن شعبه في اقرار معاوية وابن عاص ، وعمال عثمان
على اعمالهم حتى تأنيه بيعتهم ويسكن الناس ، ثم بعزل منهم من
يشاء ، فابي وقال :

- لا اذهن في ديني ولا اعطي الدنية في امري
 فقيل له : انزع من شئت واترك معاوية فان في معاوية جرأة
 وهو في اهل الشام يستمع منه ، ولك حجة في اثباته بما كان من عمر
 ابن الخطاب اذ قد ولاه الشام قبلك

فابى وقال : « لا والله لا استعمل معاوية يومين »
 ذلك ان الحيل والخدع لم تكن من مذهبه ، ولم يكن عنده غير مر
 الحق ، ولقد قال يوماً لاصحابه بعد ان اتخنوا في اعدائه :
 « لا تتبعوا مولياً ، ولا تجهزوا على جريح ولا تنهبوا مالا »
 فاجعلوا يملكون بالذهب والفضة في معسكرهم والمتاع ، فلا
 يعرض له احد ، الا ما كان من السلاح الذي قاتلوا به والدواب
 التي حاربوا عليها ، فقال بعض اصحابه :
 يا امير المؤمنين كيف حل لنا قتالهم ، ولم يحل لنا سبيهم
 واموالهم ؟

فقال علي رضي الله عنه : « ليس على الموحدين سبي ولا
 بغنم من اموالهم الا ما قاتلوا به وعليه ، فدعوا ما لا تعرفون والزموا
 ما تؤمرون ^(١) »

هذا هو الامام الذي ابت رافته وابى دينه ان ينعم اهل

الشام من الماء كما منعوه اثناء منازلهم حتى كاد يهلك جنده عطشاً ، والذي منع شيعته وانصاره من شتم معاوية ضارباً صفحاً عن مثل هذا الترويج في الدعوة السياسية لتأييد خلافته والخط من ملك منافسه ولما بلغه ان حجر بن عدي وعمرو بن الحمق يظهران شتم معاوية ولعن اهل الشام ارسل اليهما ان كفا عما بلفني عنكما فانياه فقالا :
 - يا امير المؤمنين السنا على الحق وهم على الباطل ؟

قال : « كرهت ان تكونوا شتامين لعائين ، ولكن قولوا اللهم احقن دماءنا ودماءهم واصلح ذات بيننا وبينهم ، واهدهم على ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي من لهج به »

وكان الى ذلك كله ، شديداً في محاسبة نفسه وعماله ، اما محاسبة نفسه فظاهرة واضحة الوضوح كله ، واما محاسبة عماله فيؤيد ذلك هروب مصقلة بن هبيرة الشيباني منه وانضمامه الى معاوية ومفادرة يزيد بن حجمة التيجي له ، وكان قد استعمله على الرعي فكسر من خراجها ثلاثين الفا فكتب اليه يستدعيه فحضر فسأله عن المال قال : « اين ما غلته من المال » قال : « ما اخذت شيئاً » فخفقه بالدرة خفقات وحبسه ، ووكل به سعداً مولاه ، فهرب منه يزيد الى الشام ، فسوغة معاوية المال فكان بنال من علي ، وبقي بالشام الى ان اجتمع الامر لمعاوية فسار معه الى العراق فولاه العراق

وبعد فهذا ما توفرنّا على تقديمه وتصويره من حوادث التاريخ
واحداث الزمن الغابر نقيم به الحجّة على سياسة امير المؤمنين مع عماله
واغراقه في محاسبتهم ، واغضابه آل بيته ، في سبيل عقيدته الطاهرة
من شوائب الرياء ، واخلاصه لمن ولي امرهم من المسلمين وغير
المسلمين ، ومن كان هذا شأنه كان خليقاً ان يلى امور المسلمين ،
ويكون امير المؤمنين .



معاوية بن ابي سفيان

ذهب بنو هاشم بشرف النبوة ، وهو امر ليس بطوق العرب
ان تصل الى مثله فكان حقاً على زعماء مكة واشرافها ان ينفروا
الى محاصمتهم ومحاربتهم ، فلما لم يوفقوا الى ذلك ، انصرف ذوو
الرأي والحجى فيهم الى القبول بالامر الواقع والاستمتاع بما في الحياة
من ايجاد وسلطان وهي اكثر

وتبسط لمعاوية بن ابي سفيان حكم الشام بعد وفاة اخيه يزيد
ابن ابي سفيان ، فذهب ينظم الحكم فيها تنظيمًا ظاهر القوة ، بادي
الاغراض ، بعيد المصاير ، وراح يوطد لنفسه السلطان ، وبضم اليه
الاطراف والمسالخ وبثب وبنفي ، حتى اصبحت الشام - وهي
احدى ولايات المملكة الاسلامية لانكاد ترتبط مصايرها
بمصاير الامصار العربية الاخرى الا بمقدار ، وحتى صارت وهي لا تتصل
بالعاصمة الا على قدر ، واذا معاوية في الشام ملك البلد ، وحاكم
المصر ، وزعيم القبيل .

واطلقت (امية) بصرها في طول الجزيرة ومشارفها وما بعد
هذه المشارف والامصار ، فاذا معاوية قد استغلظ امره ، وفشا شأنه

اذا ما فات امية ان تذهب بشرف النبوة ، فلن يفوتها الذهاب باجماع
الدنيا ، وخيرات الارض ، فيطوي رجالها الفياقي الى الشام وينزل
بعضهم في امصارها وغورها ، يتصلون بالارض اتصال الرجل
المقيم ، ويدافعون الى ما بين هذه العصبية المتنافرة ، يوطدون من
حدثها ، ويهدءون من روعتها ، ويمكنون لانفسهم وسيدهم ملكاً
يظنون انه طويل الامد ، بعيد المدى

وينظر معاوية الى من حوله فاذا بنو كلب ، اشد العرب في
مصره ، فيناهل باحدى فتياتهم تلده يزيداً ، نوطيداً لملكه
ونمكيناً لسلطانه ، ولطفاً لما في ثاينا القدر من مفاجآت واحداث ،
وقد كان معاوية من اكثر رجالاب العرب دهاء ، وابعدهم نظراً
واكثرهم للحوادث استثماراً ، وللمفاجآت حذراً ، وكان على
مثل اليقين من انه لن يترك وشأنه في الشام طويلاً ، وانهم لا بد
محاسبوه على سياسته ، ومنازعهوه في سلطانه ، فكان يتأقى لدفع هذه
العوادي - وهي ما تزال في حجب الغيب - بفكر نير ، وحلم وسيم
وعقل كثير .

فلما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وبوبع الامام كرم
الله وجهه بالخلافة اوجس معاوية شراً ، وادرك ان الامام ليس
بالرجل يترك له مصر الشام بسيره وفاقاً لهواه واغراضه ، وعلم انه
لن ينال في عهده ما كان بناله عهد عثمان ، والتقي في روعه ان

الامام سيدفعه عن مصره ، يولي عليه غيره ممن يثق بهم من اخصائه ورجاله ، فذهب يتوسل بالثورة وبالمطالبة بدم عثمان بن عفان حجة يحاول بواسطتها التلويح للامام بما لديه من قوة ، وبما ينعم به من سلطان ، واعلمه كان يريد الاتفاق اول الامر ، على ان تترك له الامارة على الشام ، ويعترف بالخلافة للامام ، فلما ابى الامام الا خلعه عن مصره ، واقسم لا يوليه بعد ذلك عملاً ، ولا بقود له جيشاً ، ولا يشهد له مشهداً ، ذهب معاوية يتفق وعمر بن العاص ، على النهوض بالثورة ، واجمعا امرهما على المطالبة بدم عثمان ، واتهام الامام بالاستشغال عن نصرته ، وعلقا قميص عثمان وهو ملطخ بالدم ، واصابع زوجته نائلة على منبر المسجد في الشام ، وجمعوا الناس واخذوا بالبيكاه ، والمزادة بالزبل والشبور ، يستميلان بذلك اهل الشام وغيرهم من عامة العرب وبسطاء المسلمين .

وايد معاوية من عنده من الناس ، وبذلوا له الطلب في دم عثمان ، فاطمان عندئذ الى قوته وراح يماكر امير المؤمنين وغير امير المؤمنين من خصومه ، ويخادعهم ويفرق في البذل والعطاء بشترى بالمال قبائل العرب ، وكان مسرفاً في ذلك كل الاسراف ، فقد ذكر (الطبري) حادثة تدل على دهاء معاوية في استخدام المال لشراء ضمائر ذوي المكانة والنفوذ من معاصريه وغيرهم ، ذكر ان ابا منازل قال له لما اعطاه سبعين الفاً ، واعطى جماعة من

الزعماء لا نعلم مكانتهم مكانته مائة ألف : فضحتني في تميم يا معاوية
 أما حسبي بصحيح ، أو لست ذا سن ، أو لست مطاعاً في عشيرتي ؟
 فقال له معاوية : « بلى »

قال : « فما بالك خسست بي دون القوم » ؟
 فقال : « اني اشتريت من القوم دينهم ووكلتك الى دينك
 ووربك في عثمان بن عفان - وكان عثمانيا - »

فقال : « وانا فاشتر مني ديني » فامر له بتمام جائزة القوم
 وكان سياسياً بطبيعته ، معطاءً وهوباً بسجيته ، وقد صدق
 في صفته ابو الجهم الشاعر حيث قال :

نمىل على جوانبه كأننا اذا ملنا نميل على ايننا
 نقلب له لنخبر حالتيه فنخبر منها كرمًا ولينا

وان بطوقنا ان نفهم فهمها صحيحاً كانت ثورة معاوية بسبب
 قتل عثمان ثورة مصدرها عميق اخلاصه في العثمانية ليجري حكم
 الشرع في قتلة عثمان ، ام ثورة مصدرها طموحه الى الملك يفتصبه
 لنفسه ؟ ونستطيع ان نفهم ذلك من حوار جرى بين عائشة
 بنت عثمان ، فان التاريخ يحدثنا ان معاوية لما قدم المدينة دخل دار
 عثمان فقالت عائشة بنت عثمان : « واأبناء » وبكت فقال معاوية :
 « يا ابنة اخي ان الناس اعطونا واعطيناهم اماناً ، واظهرنا لهم حلمًا تحت
 غضب ، واظهروا لنا طاعة تحتها حقداً ، ومع كل انسان سيفه ، وهو

برى مكان انصاره ، فان نكثنا بهم نكثوا بنا ، ولا ندري اعلينا
نكون ام لانا ، ولأن نكوفي بنت عم امير المؤمنين خير من ان
نكوفي امرأة من عرض المسلمين »

ولسنا نجد تصورا ادق لسياسة معاوية ، وطريقة حكمه
من قوله :

لا اضع سيفي حيث يكفيني سوطي ، ولا اضع سوطي حيث
يكفيني لساني ، ولو ان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت »
قيل : وكيف ذلك ؟

قال : « كنت اذا مدوها خليتها واذا خلوها مدتها »
فهذا قول بين حلمه وطول باعه في السياسة وهدوء اعصابه
اذا جابهته المشكلات او نزلت بساحته الكوارث والمعضلات ،
ونظير سعة عطفه وحزمه وقسطه ، وقد قال يزيد يوم يبيع له على
عهده فجعل الناس يمدحونه وبقرظونه : « يا امير المؤمنين والله ما
ندري اتخذع الناس م يخذعوننا » فقال معاوية : « كل من اردت
خديعته فتخادع لك حتى تبلغ منه حاجتك فقد خدعته »

ثم انظر الى مختلف تصرفات معاوية في حياته السياسية وغيرها
فانك انتقنع بصدق حكم الشعبي الذي قال فيه : « كان معاوية
كالجمل الطيب اذا سكنت عنه تقدم واذا رد تأخر »

ولقد امتاز معاوية الى جانب المامه التام بميول كل من نهبه

علاقة من البشر ، وصادق تقديره مع ثقب بصيرنه بنواحي الضعف
 فيهم التي يستطيع التقرب اليهم منها ، امتاز الى جانب هذا كله
 بصفات لها مكانتها السامية في تكوين دهاء ساسة الوقت الحاضر ،
 منها براعته في ابقاع اعدائه في مشكلات لا تقوم لهم من بعدها
 قائمة بافانين طريقة طالما عمد اليها الكثير من ساسة اليوم ، مثل
 ذلك طريقته في ابقاع بطارقة الروم الذين يكيدون للاسلام وذلك
 بمهادنتهم ومكانتهم بطريقة مكشوفة لاغراء الملك بهم

ومنها حلمه وفي كتب التاريخ مئات الامثال تروج لحلمه
 وسعة صدره ونضرب لذلك مثلاً ، انه لما الحق معاوية زياداً بآيه
 دخل عليه بنو امية وفيهم عبد الرحمن بن الحكم اخو مروان بن
 الحكم الاموي فقال له : « يا معاوية لو لم تجد الا الزنج لاستكثرت
 بهم علينا قلة وذلة » فاقبل على اخيه مروان وقال : « اخرج عنا
 هذا الخايع » فقال مروان : « والله انه لخايع لا يطاق » فقال معاوية :
 « والله لو لا حلمي وتجاوزي لعلمت انه لا يطاق ألم يبلغني شعره في
 وفي زياد ، ثم قال لمروان اسمعني فقال :

الا بلغ معاوية بن صخر لقد ضاقت بنا في البدان
 اتغضب ان يقال ابوك عف وترضى ان يقال ابوك زان

ومنها لباقة السياسية وهي غير الحلم لانها من نوع المغالطات
 السياسية ، مثال ذلك ما كان بينه وبين الحسن رضي الله عنه بشأن نزوله عن

الخلافة له ، اذ كتب اليه معاوية كتاباً قياً جاء فيه :

« اما بعد فانت اولى بهذا الامر واحق به لقرابتك ... ولو علمت انك اضبط له واحوط على حريم هذه الامة واكيد لبابعتك فسل ما شئت »

وبعث اليه بصحيفة بيضاء محتومة في اسفلها ان اكتب فيها ما شئت فكتب الحسن اموالا وضياعاً وامانة لشعبة علي الخ . ثم ما وفق اليه معاوية من اختيار اكبر دهسة الولا كعمرو بن العاص وزباد بن ابيه والمغيرة بن شعبة ممن عملوا معه على توطيد الملك له ، والذين ارتسموا الى حد غير قليل خطوات زعيمهم السياسي في شراء الضمائر والمخائلة والكيد والدعابة والحلم والشدة ، وهذا زياد المعروف بشدة الوطأة باغه عن رجل يكنى ابا الخير من اهل البأس والنجدة انه يرى رأي الخوارج فدعاه فولاه جند نيسابور وما بليها ورزقه اربعة آلاف درهم كل شهر وجعل عمالته في كل سنة مائة الف فكان ابو الخير يقول : « ما رأيت شيئاً خيراً من لزوم الطاعة والتقلب بين اظهر الجماعة »

وكذلك فعل المغيرة بن شعبة حين حصبه حجر بن عدي وهو على المنبر في خطبة الجمعة ، فانه نزل مسرعاً ودخل قصر الامارة وبعث الى حجر بخمسة آلاف درهم ترضاه بها ، فقيل للمغيرة : « لم فعلت هذا وفيه عليك وهن وغضاضة » ؟

فقال : قد قتلته بها

الى جانب هذه العناصر المكونة لتلك الشخصية البارزة التي اعتمدت في تأسيس ملكها ، على ما اعتمدت عليه من ترضي الاحزاب بالمال وعامة الناس بالطعام واستغلال العصبية العربية والتساهل في اقامة الحدود الدينية اذا دعت الى ذلك طبيعة الاحوال السياسية فان معاوية يصف بنفسه سبب نجاحه على علي بقوله :

« اعنت على علي بن ابي طالب باربعة خصال : كان رجلاً لا يكتم سرّاً ، و كنت كنوماً لسريّة ، و كان لا يسعى حتى يفاجئه الامر مفاجأة ، و كنت ابادر الى ذلك ، و كان في اخبث جند واشدهم خلافاً ، و كنت احب الى قریش منه فقلت ما شئت فقله من جامع الي ومفرق عنه »

وبعد - فان السياسة الحديثة قد اباحت لرجالها في سبيل تحقيق غاياتهم ان يذتهجوا من الوسائل ما يكفل لهم النجاح السياسي ، ويجب علينا ان نشب ان جلهم ولو انهم بتظاهروا بنفورهم من مدرسة « مكيا فيلى » التي نضحي بكل شيء تهربوا للوصول الى الغاية السياسية ، هم في الواقع يأخذون بتعاليمها ويعملون وفاقاً لبرامجها .

والواقع ان معاوية كان فذاً في ما رسمه بنفسه لنفسه من طريق للوصول الى اغراضه السياسية ، فقد راح لا يحفل بالنظم الاجتماعية

والاخلاق والفضائل في سبيل غايته وأغراضه وذهب يذتهج من
الوسائل السياسية ما يكفل نجاحه وبوطء أمره ، وأنه الخلق بنا
وبسوانا إلا نعدو بعيداً عن هذه الظاهرة حين نؤرخ لمعاوية ونتناول
بالبحث عهده وعصره .

وأنا لنظن أنا قد صورنا معاوية بما هو أهله ، وأوضحنا ما
كانت عليه هذه الشخصية في مسامرة الناس ، واحتمال الأذى ،
والاغراق في البذل والعطاء والحلم ما كان هذا مفيداً له في سياسته
مساعداً له في حكمه وتعزيز سلطانه .

واقعد كان الامام رضى الله عنه يعرف دهاء معاوية وبراعته
في استجلاب الناس اليه ، و كتابه الى زياد بن ابيه حينما كان من
ولائه يؤيد ما كتبه الامم الى زياد يقول :

« اني وليتك ما وليتك وأنا اراك له اهلاً ، وقد كانت من
بي سفيان فلة من امانى الباطل ، وكذب النفس لا توجب لك
ميراث ولا تحمل له نسباً ، وان معاوية ، بأقبي الانسان من بين بسبه
ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذر ثم احذر والسلام »

وكذلك استقام الامر لمعاوية ، ونوطد ملكه ، وبايعه الناس
وحكم الامبراطورية الاسلامية دهوراً طويلاً ، وبايع لابنه يزيد
في عهده ، وقد بقي في روعه ان الحكم سالم له ، واصل اليه ، وأنه

قد وطد له الامر ، وكفاء الشد والترحال ، وذل له الاعداء ،
واخضع له رقباب العرب ، وجمع له ما لم يجمعه احد ، فان يزيداً
والحالة هذه ليس بملاق خصومة بعده ، ولا بواجد خلافاً في عهده ،
وهو ما اخطأ معاوية في تقديره كل الخطأ ، لان يزيداً لم يكن
كايه دهاء وبراعة ، وحلماً وبذلاً ، وما كان في الواقع غير فتى لا
يعرف من امر المسلمين شيئاً ولا يدرك من الادارة امراً ، بنصرف
لالوان من اللهو ، وافانين من العبث ، لم يكن من الحق ان
يستمتع بها ملك من ملوك المسلمين ، والاسلام ما يزال في اول
عهده ، وفجر اشأته ، واذا رضي معاوية وانصار معاوية عن يزيد ؛
فان العرب لم يكن ليرضيها مثله ، وهي ما ترغب في الحكم
والملك الا لافضلها رأياً ، واعرقها نسباً ، واكثرها تقوى
واخلاصاً .

ومشى المرض الى معاوية ، فبعث الى يزيد بقول له في وصيته
السياسية :

« يا بني انظر اهل الحجاز فانهم اهلك ، اكرم من قدم
عليك منهم ، وتعاهد من غاب ، وانظر اهل العراق فان سألوك ان
تغزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل ، فان عزل عامل ، ابسر من ان

بشهر عليك مائة الف سيف ، وانظر اهل الشام فليكونوا بطانتك
وعيبتك ، فان مراك من عدوك شيء ، فانصر بهم ، فاذا
اصبتهم فاردد اهل الشام الى بلادهم ، فانهم ان اقاموا بغير بلادهم
تغيرت اخلاقهم ، واني لست اخاف عليك ان ينازعك هذا الامر
الا اربعة نفر من قريش : الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ،
وعبد الله بن الزبير ، فاما ابن عمر فانه رجل قد وقفته العادة ، فاذا
لم يبق احد غيرك بايعك ، واما الحسين بن علي فلن يتركه اهل
العراق حتى يخرجوه ، فان خرج وظفرت به فاصفح عنه ، فان له
رحماً ماسة ، وحقاً عظيماً ، وقراءة من رسول الله صلى الله عليه وسلم
واما الذي يحتم لك جثوم الاسد ويراوغك مراوغة الثعلب ، فان
امكنته فرصة وثب ، فذاك ابن الزبير ، فان فعلها بك فظفرت به
فقطعه ارباً ارباً ، واحقن دماء قومك ما استطعت ^(١)»

وتوفي معاوية لئلال رجب سنة ستين للهجرة وهو في الخامسة
والسبعين من العمر ، وكان ملكه تسع عشرة سنة وثلاثة اشهر
وسبعة وعشرين يوماً .

«١» ويقال ان يزيداً كان غائباً عن مرض ابيه وموته وان معاوية احضر
الضحاك بن قيس ومسلم بن عقبة فامرهما ان يودبا عنه هذه الرسالة الى يزيد

الحسين بن علي

ولد الحسين بن علي رضي الله عنه لخمس خلون من شعبان سنة اربع من الهجرة فاسماه الرسول صلى الله عليه وسلم «حسيناً» واقام مع جده رسول الله ، سبع سنين ، ومع ابيه امير المؤمنين عليه السلام سبعاً وثلاثين سنة ، ومع اخيه الحسن سبعاً واربعين ، وكانت مدة خلافته بعد اخيه احدى عشرة سنة وكان الحسين في حياة رسول الله طفلاً ، اقام معه ست سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام

وكان رسول الله كثير العطف عليه وعلى شقيقه الحسن ، محباً لهما برأيهما ، فقد روى احد الصحابة ^(١) قال : خرج علينا رسول الله في احدى صلاتي العشاء وهو حامل حسناً او حسيناً ، فتقدم فوضع الصبي في مكان ثم سجد للصلاة فاطال سجدة الصلاة ، فرفعت رأسي ، فاذا الصبي على ظهر رسول الله وهو ساجد ، فرجعت الى سجودي ، فلما انتهت الصلاة قيل يا رسول الله : «انك منجدت بين ظهري صلاتك سجدة اطلتها ، حتى ظننا انه قد حدث امر ، او انه

يوحي اليك»

قال : « كل ذلك لم يكن ، ولكن ابني ارحماني ، ففكرت ان اعلمه »

ومر رسول الله يوماً على بيت فاطمة فسمع حسيناً يبكي فقال
« ألا تعلمي ان بكاءه يؤذيني »

وروى الترمذي في سننه عن اسامة بن زيد قال :
« طرقت باب رسول الله ذات ليلة في بعض الحاجة ، فخرج رسول الله وهو مشتمل على شيء لا ادري ما هو ، فلما فرغت من حاجتي قلت : « ما هذا الذي انت مشتمل عليه ؟ » فكشفه فاذا حسن ، حسين على وركيه وقال :

« هذان ابناي وابنا ابتي ، اللهم اني احبهما فاحبهما ، واحب من يحبهما »

ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً يخطب المسلمين في المسجد ، فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يمشيان وبعثران ، فنزل رسول الله عن المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ، ثم قال :

صدق الله : « انما اموالكم واولادكم فتنة » نظرت الى هذين الصبيين يمشيان وبعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما .

وقال ابن عباس : كان عمر بن الخطاب يحب الحسن والحسين
ويقدمهما على ولده ، ولقد قسم يوماً فاعطى الحسن والحسين كل واحد
منهما عشرة آلاف درهم ، فعاتبه ولده وقال :

« قد علمت سبقي في الاسلام وهجرتي ، وانت تفضل علي
هذين الغلامين »

فقال : « ويحك يا عبد الله ، اتني بجدة مثل جدتهما ، وأب مثل
أبيهما ، وأم مثل أمهما وجدة مثل جدتهما ، وخال مثل خالهما ، وخالة
مثل خالاتهما وعم مثل عمهما ، وعممة مثل عمتهما : جدتهما رسول الله ،
وأبوهما علي ، وأمهما فاطمة ، وجدتهما خديجة ، وخالهما ابراهيم ابن
رسول الله ، وخالاتهما زينب ورقية وام كلثوم بنات رسول الله
وعمهما جعفر بن ابي طالب ، وعمتهما ام هاني بنت ابي طالب »

وجعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، عطاء الحسن والحسين
مثل عطاء أبيهما ، فالحقهما بفريضة اهل بيته ، وفرض لكل واحد
منهما خمسة آلاف

وقدم على عمر حلل من اهل اليمن فكسا الناس ، فراحوا في
الحلل وهو بين القبر والنبر جالس لنفسه ، والناس يأتونه فيسلمون
عليه ويدعون ، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة
بتخطينان ، وكان بيت فاطمة رضى الله عنها في جوف المسجد ،
ليس عليهما من تلك الحلل شي ، وعمر قاطب صار بين عينيه ،

ثم قال يخاطب المساحين :

—والله ما هنائي ما كسونكم

قالوا: لم يا امير المؤمنين ؟

فقال : « من اجل هذين الغلامين يتخطيان الناس ليس عليهما

مما كسوت الناس شيء » ثم كتب لصاحب اليمن : « ان ابعث

الي مجلتين لحسن وحسين وعجل »

فبعث اليه مجلتين فكساهما ، فلما كساهما قال :

« الآن طابت نفسي »

وبذكر ابن خلدون وغيره من المؤرخين وجود الحسن

والحسين في الجيش الذي راح يغزو افريقية بعد فتح مصر ؛

وانهما دخلا المغرب الاقصى وجماعة من الصحابة مع الجيش

الاسلامي الذي كان يفتحهم تلك الامصار في خلافة عثمان بن

عفان رضي الله عنه .

وروى الطبري في تاريخ الامم والملوك انها كانتا مع الجيش

الذي غزا طبرستان ، وفي هذا ما يدل القاري على ان الحسن

والحسين رضي الله عنهما كانا يزودان دائما عن الدين والاسلام ، وانها

كانا يعرضان صدريهما للرماح في سبيل تعزيز الدين ورفع

رايات الاسلام في كل مصر وقصر .

فلما ابتدأت الفتنة في الاسلام عهد عثمان بن عفان ، واخذ الناس بنعمون على الخليفة اموراً كثيرة ، منها ابثاره بني امية في الوظائف والبذل وغير ذلك ؛ ولما راح بعض المسلمين يحصبون عثمان بن عفان رضي الله عنه في المسجد كان الحسين بن علي عليه السلام بين الذين راحوا يدافعون عن الخليفة في جمع من الصحابة كما ان الامام كرم الله وجهه ، لما حصر الناس عثمان في داره ومنعوه الماء وارادوا قتله ، بعث اليه بثلاث قرب من الماء ، وانفذ ولديه الحسن والحسين ومواليه ومعهم السلاح الى بابه لتصرته ؛ وامرهم ان يمنعوه من الناس وقال لهما :

- اذهبا بسيفكما حتى تقوموا على باب عثمان فلا ندعا احداً يصل اليه بمكره .

وبعث الزبير بن العوام ، ابنه علي كره ، وارسل طلحة ابنه كذلك ؛ وانفذ عدة من اصحاب رسول الله ، ابناهم ليمنعوا الناس ان يدخلوا على عثمان ، ارسلهم آباؤهم اقتداء بالامام وابنيه .

واشرف عثمان بن عفان من أعلى القصر فخطب الناس ، فاستقبلوه بما لا يستقبل به مثله ، ورموه بالنهام ، حتى خضب

الحسن بن علي بالدماء على بابه ، وخشي الناقمون على عثمان ان يغضب
بنو هاشم لجمال الحسن والحسين فيثيرونها فتنة ، فاخذ محمد بن ابي
بكر بيدي رجلين من اعوانه وتسوروا الجدار ، ودخلوا على عثمان
وليس معه الا امرأته ، والمصحف في حجره ، فصرعه محمد بن ابي
بكر وقعد على صدره واخذ بلحيته فقال له عثمان :

— ارسل لحياتي يا ابن اخي ، لوراك ابوك لساء
مكانك هذا .

فخجل محمد بن ابي بكر وخرج عنه ، ثم دخل عليه بعضهم
فجرحوه وقتلوه ، وخرجوا هارين ، وصاحت امرأته بالناس : ان
امير المؤمنين قد قتل .

فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوا عثمان مقتولا
فاكبوا عليه يسكون ، وبلغ الخبر الامام علي ، وطلحة والزبير
وسعداً ومن كان بالمدينة فخرجوا حتى دخلوا على عثمان ، فاسترجعوا
وبكوا ، وقال الامام لابنيه :

— كيف قتل امير المؤمنين وانتم على الباب ؟

و كان غضب الامام عظيماً لم يتأخر معه عن ضرب ابنه الحسن
والحسين ، وشم محمد بن طلحة ، ولعن عبد الله بن الزبير ، ثم خرج من
المنزل ، وهو اشد ما يكون غيظاً وغضباً .

ولقد اقام الحسين مع ابيه امير المؤمنين علي بن ابي طالب
مدة خلافته ، وشهد معه الجمل وصفين وقاتل الخوارج حتى قتل
الامام عليه السلام شهيداً

وكان الحسين رضي الله عنه بأسلاً قوياً جريئاً ، برز يوماً
للعدي في إحدى المعارك ، فنادى هل من مبارز ؟ فاقبل عليه رجل
اسمه الزبرقان وكان شديد البأس فقال له : من انت ؟

فقال : انا الحسين بن علي

فقال له الزبرقان : انصرف يا بني ، فاني والله لقد نظرت الى
رسول الله مقبلاً من ناحية قباء على ناقة حمراء ، وانت يومئذ قد امه
فما كنت لالقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بدمك .

وبذهب بعض المؤرخين الى ان الرجل الذي برز للحسين
غير الزبرقان ، وانها اتفقا بعد ذلك على الانصراف الواحد عن
الآخر .

فلما ضرب الامام عليه السلام دخل منزله فاعترنه غشية ثم افاق
فدعا الحسن والحسين فقال :

« اوصيكم بتقوى الله وان لا تبغيا الدنيا وان بفتكما ، ولا
تأسفا على شيء منها زوي عنكما ، اعملا الخير ، وكونا للظالم خصماً
والمظلوم عوناً . »

«يا بني عبدالمطلب لا الفينكم تخوضون دماء المسلمين خوفاً
تقولون قتل امير المؤمنين ، لا تقتلن بي الا قاتلي ، انظروا اذا انا
مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ، ولا تمثلوا بالرجل
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اياكم والمثلة ولو
بالكاب العقور »

ثم دعا محمداً بن الحنفية فقال له : اما سمعت ما وصيت بك اخويك ؟
قال : بلى

قال : فاني اوصيك به ، وعليك ببر اخويك وتوقيرها ومعرفة
فضلها ولا تقطع امرآ دونهما
ثم اقبل عليهما فقال : « اوصيكما به خيراً ، فانه شقيقكما وابن
ايكما ، وانتما تعلمان ان اباكما كان يحبه فاحياه »

ومضى علي بن ابي طالب شهيداً الى الملاء الاعلى ، ضربه
بسياف مسموم عبد الرحمن بن ملجم عليه لعنة الله ، ليلة التاسع عشر
من رمضان سنة اربعين وتوفي ليلة الحادي والعشرين منه ، ودفن
قبل طلوع الفجر ، ودخل قبره الحسن والحسين ومحمد بنوه عليهم
السلام ، وعبد الله بن جعفر رضي الله عنه .

ونفذ حكم القتل في القاتل وفاقاً لما امر به الامام كما اجمع على

ذلك ثقة المؤرخين .

وبابع الناس بالخلافة للحسن بن علي ، فتحرك عندئذ معاوية بن ابي سفيان نحو العراق ، ومشى امير المؤمنين الحسن نحو الشام ؛ ثم وجد من خذلان اصحابه له وتقاعسهم عن نصرته ما زهده في الخلافة ، فرغب في الصلح وكتب الى معاوية بذلك واشترط عليه ان لا يأخذ احداً من اهل العراق بإحنه ، وان يؤمن الاسود والاحمر ، ويحتمل ما يكون من هفواتهم ، واشترط اموراً غير هذه لم يف له معاوية الا ببعضها

ولم يرض موقف الحسن عليه السلام بنو هاشم واغضب شقيقه الحسين ، فقال له : « انشدك الله ان لا تصدق احدى هذه معاوية »

وراح عليه السلام يبحث شقيقه على القتال ويرغبه في رفض الصلح ، ولكن الحسن كان في موقف كثير الاضطراب ، فانه لم يكن يأمل خيراً من شيعته وانصاره وجنده ، ففضل الصلح على امر ليس هو على يقين من نجاحه وفلاحه

له

ولقد استتب الملك لمعاوية بعد تنازل الحسن عليه السلام عن الخلافة ، وهو ملك ما استتب له الا بالسيف والمخاضة والحيلة ، وبعد ان دامت الفتن في الاسلام دهوراً وقتل من المسلمين

عدد كثير .

وليس يهنا ان نعرض في كتابنا هذا لموقف معاوية وتاريخه واعماله وافعاله ، ولكن الذي ينكر عليه ، انه ثار على امير المؤمنين علي بن ابي طالب وهو الامام القائم ، وصاحب الحق الواجب ، وتذكر اغراقه في البذل والعطاء من الخزانة العامة تعزيراً لسياسته وتوطيداً للملكه ، وتنكبه عن منهج الخلفاء الراشدين ، ثم ما توفر على اقراره من اساليب سياسية ذهبت بالخلافة والشورى وراحت تقيم حكومة ومملكة عضوضاً ليس من الاسلام في شيء ولا دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اقره ، بل ترك الامر لجماعة المسلمين ليختاروا اصلحهم وارشدهم واوفرهم على تحمل اعباء الحكم ، والقيام بالحق والعدل

اما مبايعته يزيد في حياته ، وهو من يعلم معاوية من الخفة والمجون والولع بالاشربة ، فهذا باعتقادي من اكبر المصائب التي نزلت بالاسلام في فترة من الزمن كان من حق الامام القائم فيها على المسلمين ان يولي عليهم اكثرهم خيراً ، واصلحهم حلاً ، واقدرهم واقواهم .

والملك بيد الله بوثنيه من يشاء من عباده ، وما كان لخلق ان يمهّد لابنه الملك من بعده الا بامر الله ، وقد رأينا مصير هذا الملك الذي راح يوطده معاوية لابنه يزيد ، ويعمل المستحيل

لاتيانه والتمكين له بين الناس وفي البلاد ، فقد اراد امرأ واراد
الله غيره ، فكان من سقوط هذا الملك وتمزق شمله بعد سنوات
لا تزيد عن اصابع اليد الواحدة ما هو مسطور في صفحات التاريخ
واذا بنو حرب خلفاء معاوية بنقرضون من بعده ، فلا تقوم لهم
قائمة ، ولا يفشو لهم سلطان ، ولا يثبت لهم ملك .



يزيد بن معاوية

افاق يزيد بن معاوية ذات يوم من خماره فاذا به مليكاً على المسلمين ، وافاق المسلمون فاذا الذي يلي امرهم لا يتسم بما يجب ان يتسم به صاحب الامر من وفير خلق ، ورفيع صفات ، وجميل احوثة ، واذا بينهم ، وفي مختلف امصارهم وبلدانهم رجالاً هم احق منه بالحكم ، واولى بالسلطان ، واكثر بلاء في سبيل الاسلام ، وابعد اثراً ، هذا الى جلالة واحد هم وسنه ، وموضعه من العلم ، وشريف نسبه ، وعظيم مقامه .

ولقد احس المسلمون يوم ولي يزيد الملك واستوى على عرش امية ، بشيء من الانقباض والقلق ، واستحوذ على رجالاتهم وجماعاتهم التوان من الدهول والانكار ، فقد كان ليزيد عهد معاوية شهرة طائفة ، وميل ظاهر الى العبث واللهو والاشربة والمرح ، وكان الناس يحسبون ان معاوية سيعدل عنه الى سواء من رجالات العرب او يترك الامر للمسلمين ؟ يولون عليهم من يختارونه من رجالهم وعظماهم وذوي الحجبى والمعرفة فيهم ، ولكن معاوية ابى الا ان يصيرها ملكاً عضوضاً ، وابى الا ان يستيرها بين الناس عرشاً يضطرب

تحت ابنه وحفدته من بعده ، ولولائه اختار لحكم المسلمين غير
 يزيد من بنه وغير بنه لكن الشر هيناً ، والقضاء سهلاً محمولاً ،
 ولكنه اراد العرش ليزيد ، ومن اعز عليه من يزيد ؟ ويزيد شاب
 ظاهر العبث ، بادي المرح ، ليس حميد الامر ، حسن المروءة ،
 عفيف المظهر ، والمسلمون يريدون للولاية رجلاً اكرم خلقاً ، واطهر
 مظهراً ، واعظم بلاء ، واصدق قولاً واهضى امراً ، وكان من حق
 الملك الراحل على الاسلام والمسلمين ان يختار للولاية رجلاً من
 خيارهم واقوياءهم ، وان ينتخب لهم افضلهم واصلمهم وهذا واجب
 مفروض على الولاية وغير الولاية من الذين يلوث امور الناس ،
 ويقضون بينهم ، ويتواون مقام صاحب الامر والنهي في امصارهم
 وبلدانهم .

وانه ليقع في روع المؤرخ المعاصر ، وهو يساير هذا الماضيات
 من الالام ، وبطابق بصره الى ما وراء الحجب ، وما خاف الستار ،
 يتعرف على احوال المملكة الاسلامية في ذلك العهد ، ان يصيب
 الغرض ويقع على الحقائق ، ويتوفر له العلم بما كانت تضطرب به
 النفوس في عواصم المملكة الاسلامية من قلق واضطراب ، وما
 شمل معالمها اواخر رجب من السنة الستين الهجرية من انقباض وذعر
 لما هلك معاوية وولي يزيد ، وما كانت تستشعر به النفوس من بوادر
 الفتنة ، واندلاع الثورة ، وانقطاع الرجاء

ولقد ولي يزيد امور المسلمين فاستقامت ولايته سنوات قصيرة ،
حدث في خلالها امورا ليس من المسلمين إلا من هو كاره لها نأتم
عليها ، وبجسبك هذه الارزاء الثلاثة تنتضح مدة حكمه ، وتظهر
في عصره ، وتستقيم جميعها في زمنه ، من استباحته حتى المدينة المنورة
ومحاصرة مكة المكرمة ، فمقتل الامام الشهيد الحسين بن علي رضي
الله عنه ، وواحد من هذه الارزاء ينتظم في زمن ملك من الملوك ،
يكفى لذهابه بعمرة الزمن ونقمة الاجيال

ولقد حاول مستشرقو الفرنجة في كثير من البراعة والبيان ،
وما يزالون يحاولون ، الانتصاف ليزيد بن معاوية والتأويل الى حلمه
وادبه وعلمه وسياسته ولباقته ، وغير ذلك من الفضائل التي انكرها
عليه مؤرخو العرب ، وكان اكثرهم حرارة في ذلك الاب لانس
اليسوعي الذي افرد ليزيد كتابا خاصا جمع فيه كل شاردة وواردة
مما يتصل بحكمه ويتعلق بعهده ، وذهب يخرججه للناس في صورة اقل
ما يقال فيها انها طريفة جدابة محببة .

ويذهب غيره من المستشرقين الى القول بان يزيدا قد اكتمل
بنار العصر الخالية ، وخطيئات معاوية وغيره من رجالات امية ،
وان الثورة الفكرية التي كانت تضطرم في الصدور ، وتضطرب
في الافئدة قد وجدت لها مخرجاً في عهده ، فذهبت تجرف ما في

طريقها من اخضر ويابس ، وراحت تصب غضبها عليه ، فهو والحالة هذه يكفر عن خطيئات سلفت ، واخطاء سبقت ، ونعمة جاشت في الصدور ، واضطربت بين الناس والجماعات ، في مختلف امصار العربية الاسلامية .

وليس يهمننا ان نعرض لهذا الرأي بالنقد والتحليل ، خصوصاً وان كتابنا هذا لا يعرض ليزيد خاصة ولا يتناول عصره بالوصف والتأريخ ، وانما يعرض لناحية في عهده ، وفترة من زمنه ، ولكن اغراق المستشرقين لا ينكر ، ونصفتهم ليزيد مملوءة بالمبالغة ، بعيدة كل البعد عن الحقيقة الواقعة ، فقد اظهر يزيد اول عهده بالملك انه بعيد عن اللباقة السياسية ، وانه كثير الحدة ، شديد التورط ، لم يوفق الى اختيار عماله في مختلف الامصار ، ولم يوصهم بالتريث والتؤدة واخذ الناس بالرافة والاحسان ، فهو والحالة هذه مسؤول عن عصره وعهده وعماله ، وما كان بطوق عبد الله بن زياد وغيره من العمال ان يخرجوا عن رأي مليكهم لو افضى اليهم امره بالحسن والتلطف في معاملة الناقين والغاضبين ، خصوصاً وان الثورة لم تكن نائمة قوية ، ولا جارفة قاصمة ، فتجربده السيف النعمة والعدوان ، واطلاقه العنان لنوابه وعماله وقواده باخذ الناس بالسيف خطيئة لا تغفر ، وسياسة اضررت بالدولة الاسلامية اول عهدها في العمران

والتوسع في الارض والامصار

وكان مولد يزيد ايام عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة خمس
اوست وعشرين ، وكان ضخماً كثير اللحم كثير الشعر ، بويح
له بالامر يوم مات معاوية باستخلافه له ، فلم يكن له همة حين
ولي الائمة النفر الذين ابوا على معاوية الاجابة الى بيعته ، والفراع
من امرهم ، فكتب الى الوليد بن عتبة عامله على المدينة يقول :
« اما بعد فان معاوية كان عبداً من عباد الله كرمه الله
واستخلفه وخوله ومكن له ، فعاش بقدر ، ومات باجل ، وفرحه الله
قد عاش محموداً ومات ، برأً تقياً »
ثم كتب في كتاب آخر :

« اما بعد فخذ حسينا وعبد الله بن عمرو عبد الله بن الزبير بالبيعة
اخذاً شديداً ، ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام »
فلما اتى الوليد نعي معاوية ، بعث الى مروان بن الحكم ، وكان
على المدينة قبل الوليد يستشير في الامر ، فاشار عليه بان يبعث
الساعة الى هؤلاء النفر فيدعوهم الى البيعة ، وزاد على ذلك قائلاً :
« اما ابن عمر فلا اراه يرى القتال ، ولكن عليك بالحسين وعبد
الله بن الزبير فابعث اليهما فان بايعا والا فاضرب اعناقهما »

فارسل الوليد عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو اذ ذاك غلام

حدث ، الى الحسين عليه السلام وعبد الله بن الزبير يدعوهما اليه فوجدهما في المسجد فامراه بالانصراف ، وقام الحسين ومعه جماعة من اصحابه فمشى بهم الى الوليد ، وقال لهم :

— اذا دخلت فاجلسوا على الباب ، وان دعوتكم او سمعتم صوتي قد علا فافتحوا علي باجمعكم ، والا فلا تهرحوا حتى اخرج اليكم .

ودخل عليه السلام على الوليد ومروان عنده ، فاقرأه الوليد كتاب يزيد ونعى اليه معاوية ، فقال عليه السلام : « انا لله وانا اليه راجعون ورحم الله معاوية ، اما البيعة فان مثلي لا يعطي بيعته سراً فاذا خرجت الى الناس فدعوتهم الى البيعة دعوتنا معهم فكان الامر واحداً » .

فلما انصرف عليه السلام قال مروان للوليد :
عصيتني والله ، لا قدرت منه على مثلها ابداً حتى نكسر القنلى بينكم وبينه .

قال الوليد : وبجك انشير علي بقتل الحسين ، والله ان الذي يحاسب بدم الحسين يوم القيامة الخفيف الميزان عند الله .
وانى الحسين منزله فاقام فيه تلك الليلة ، وهي ليلة السبت لثلاث بقين من رجب سنة ٦٠ من الهجرة ، وشغل الوليد عنه براسلة ابن الزبير في البيعة ليزيد ، ولكن هذا خرج من ليلته من المدينة الى

مكة ، فلما أصبح الوليد مرح الرسل في اثره فلم بدر كوه ، وخرج
الحسين ليلة الاحد الى مكة ، ايضاً بيذه واخوته وبني اخيه وجل
اهل بيته ، الا محمد بن الحنفية ، وبعث الوليد الى عبد الله بن عمر ،
بعد خروج الحسين وابن الزبير فبايع يزيد ، وفعل مثل ذلك ابن عباس .
ودخل الحسين مكة ليلة الجمعة اثلاث مضي من شعبان ، ونزل
شعب علي ، فاقبل اهل مكة ، ومن كان بها من المعتمرين واهل
الآفاق ، يختلفون اليه ويجمعون عنده وتركوا ابن الزبير وكانوا
قبل ذلك يتحفلون به ، فلزم ابن الزبير جانب الكعبة ، وكان
يطوف وبأبي الحسين في صباح اليوم ومساءه



كتب ورسل من الكوفة

أقد كانت العلاقات بين الحسين رضي الله عنه وشيعته في العراق قوية دائماً وابتداءً ، فكانت الشيعة تبعث اليه في الفترة بعد الفترة بالكتاب نلوا الكتاب ، تدعوه فيه الى الثورة على معاوية والقدم اليهم بويدونه ويدفعون عنه ويقاثلون في سبيله ، وكانت الرسل تمشي اليه في حياة الحسن شقيقه الاكبر وبعد وفاته ، فكان جوابه رضي الله عنه واحداً ، ينصح فيه شيعته بضرورة التثبت والانتظار ، لانه وقد وعد معاوية بان لا يحرك ساكناً في حياته ، فهو والحالة هذه بار بوعدده ، منفذ لقسمه ، وكان عمال معاوية في المدينة يتقانون الى مليكهم ما ينقل اليهم من هذه الاخبار والشوائب ويصورون الحسين متهاثراً على الثورة ، يحاولون اثارة معاوية على الحسين وقطع العطاء عنه ، وهو ما كان يستحق له من بيت المال ، فكان معاوية يأمرهم بان لا يعرضوا للحسين بشيء ، وان يتركوه وشأنه ، وكان الى ذلك كله يبعث له بعطاءه في اوقاته المعينة ، وكان عطاء الحسين رضي الله عنه يبلغ المليون درهم في السنة الواحدة^(١)

ونمكن أحد عمال معاوية وهو الوليد بن عتبة ذهب يحاول قطع العلاقات بين الحسين وشيعته ، ولا ندرى اذا كان هذا بأمر من معاوية ، فلما انكر الحسين ذلك من العامل قال له هذا :

ليت حلمنا عنك لا يدع وجهي غيرنا اليك !!

وكان الوليد والياً محبباً ، وقد ذكر عنه ابن عباس « انه لما ولي على المدينة لم يترك عائياً الا اطلقه ، ولا غارماً الا ادى عنه »
واذا كانت هذه صفة الوليد ، فقد يكون غرضه مما حاوله من قطع العلاقات بين الحسين وانصاره ان لا يدع لمعاوية سبيلاً الى النعمة عليه . . .

وكان اشد الشيعة حرارة ورغبة في الثورة ، شيعة الكوفة ، فانهم لما علموا بوفاة معاوية وامتناع الحسين عن بيعته يزيد ، ونزوله مكة ، اجتمعوا في منزل سليمان بن صرد الخزاعي ، فخطبهم سليمان قائلاً : « ان حسيناً قد خرج الى مكة ، وانتم شيعته وشيعة ابيه ، فان كنتم تعلمون انكم ناصرته ومجاهدو عدوه ، فاكتبوا اليه ، وان خفتم الفشل والوهن فلا تفروا »

قالوا : لا بل نقاتل عدوه ونقتل انفسنا دونه

ثم اجمعوا امرهم على ارسال الكتاب الآتي اليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن علي امير المؤمنين (عليه

السلام) من سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة ورفاعة بن

شداد وحبیب بن مظاهر وعبد الله بن وال وشيعته من المؤمنين، سلام
الله عليك ، اما بعد فالحمد لله الذي قسم عدوك وعدوايك من
قبل الجبار العنيد الغشوم الظلوم الذي ابتز هذه الامة امرها وغصبها
فيأها، وتأمر عليها بغير رضى منها، ثم قتل اخيارها واستبقي اشرارها
وجعل مال الله دولة بين جبايرتها وعتاتها، فبعداً له كما بعدت ثمود ثم
انه ليس علينا امام، فاقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق والنعمان بن
بشير في قصر الامارة، وولسنا نجتمع معه في جمعة ولا جماعة ولا نخرج
معه الى عيد ولو بلغنا انك اقبلت اخرجناه حتى يلحق بالشام والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته يا ابن رسول الله وعلى ايك من قبلك
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم»

وحمل كتاب اهل الكوفة الى الحسين عليه السلام عبد الله
ابن مسمع الهذاني، وعبد الله بن وال، وخرجا مسرعين حتى قدما
على الحسين بمكة لعشر مضين من شهر رمضان، وكرّ اهل الكوفة
بعد يومين من ذهاب كتابهم هذا، فانفذوا قيس بن مشر الصيدائي
وعبد الله وعبد الرحمن ابني شداد الارجبي، وعمارة بن عبد الله
السلولي الى الحسين يحملون نحو مائة وخمسين صحيفة، من الرجل
والاثنين والثلاثة والاربعة يسألونه القدوم عليهم، فراح الامام يبحث
الامر من جميع اطرافه ومختلف طرائقه، وانتظر اهل الكوفة
يومين آخرين فسرخوا اليه هانيء بن هانيء السبيعي، وسعيد بن عبد

الله الحنفي يحملون اليه رضي الله عنه الكتاب التالي :

« بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن علي عليهما السلام من
شيعته من المؤمنين المسلمين

« اما بعد ، فان الناس ينتظرونك ، لا رأي لهم غيرك ، فالعجل
العجل ثم العجل العجل والسلام »

ثم كتب اليه بعض رجالات الكوفة كتاباً جاء فيه :
« اما بعد فقد اخضر الجنب ، وابنت الثمار فاذا شئت فاقبل على
جند لك مجند والسلام »

ونلاقت الكتب وحاملوها عند الحسين ، فقرأ الكتب وسأل
اصحابها عن الناس ، ثم كتب مع هاني بن هاني ، وسعيد بن
عبد الله ، وكانا آخر الرسل الكتاب التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن علي الى الملا من
المؤمنين المسلمين :

اما بعد فقد فهمت كل الذي اقتصصتم ؛ وقد بعثت اليكم
باخي وابن عمي وثقتي من اهل بيتي مسلم بن عقيل ، وامرته ان يكتب
الي بجالكم وامركم ورأيكم ، فان كتب الي انه قد اجتمع رأي
ملاكم وذوي الحجب منكم على مثل ما قدمت به رسلكم ، وقرأت
في كتبكم ، فاني اقدم اليكم وشيكا ان شاء الله فلعمري ما الامام
الا العامل بالكتاب ، القائم بالقسط ، العامل بالحق ، الخاسر نفسه

على ذات الله والسلام»

ولقد اراد الحسين رضي الله عنه بارسال مسلم ان يطعن الى موقف اهل الكوفة ، ويستوثق من نصرتهم ، ويتعرف على عدد الشيعة فيهم ، وكان اصحابه قد اغرقوا في نصحه بعدم الاطحنان لهم والايان بوعودهم ، ذلك انهم قد ثاقلوا عن نصره ابيه ونكثوا بيعة اخيه ، فلا يبعد ان يتوفروا الى مثل هذا معه ، فارسل مساماً رسولاً من قبله بدرس له الحالة ، ويبحث الامور ، ويتقدم له بالخبر اليقين .

ومشى مسلم بن عقيل بن ابي طالب الى الكوفة ونزل في دار المختار بن ابي عبيد ، فكانت الشيعة تختلف اليه فيقرأ عليهم كتاب الحسين ، فبايعه من الناس ثمانية عشر الفا كما اجمع على ذلك اكثر المؤرخين ؛ وكان امير الكوفة النعمان بن بشير فلما بلغه ذلك صعد المنبر ؛ فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال :

«اما بعد فاتقوا الله عباد الله ، ولا تسارعوا الى الفتنة ، والفرقة فان فيها يهلك الرجال وتسفك الدماء وتغصب الاموال ، واني لا اقاتل الا من يقاثلني ، ولا ائب الا على من وثب علي ، ولكنكم ان ابدىتم صفحتكم لي ، ونكثتم بيعتكم ، فوالله لا ضربتكم بسيفي

ما ثبت قائمه في يدي»

وكان النعمان حليماً نقياً ، فقال له احد شيعة بني أمية :
« هذا رأي المستضعفين » فقال له النعمان : « لان اكون من
المستضعفين وانا في طاعة الله احب الي من ان اكون قوياً في
معصيته ! » فكتب هذا الى يزيد بن معاوية بالامر ، وأخبره بقدوم
مسلم بن عقيل الى الكوفة ، ومبايعة الناس له ، وضعف النعمان بن
بشير ، وكتب اليه غيره بمثل ذلك ، فلما تواترت الكتب على يزيد
بهذا المعنى استشار مولى معاوية سرجون بالامر ، فنصحه هذا
بتولية عبيد الله بن زياد على الكوفة ، وكان عبيد الله على
البصرة ، فضم اليه يزيد البلدين وكتب له بذلك ، وأمره ان
يسير الى مسلم بن عقيل في الكوفة فيأخذه او يقتله او ينفيه ،
فلما وصل كتاب يزيد الى عبيد الله ، اخذ يرتب شؤونه وينظم
اغراضه قبل ان يغادر البصرة الى مقره الجديد .

ووصل في هذه الاثناء كتاب من الحسين عليه السلام الى
جماعة من اشراف البصرة ، مع مولى له اسمه سليمان بدعوهم فيه الى
نصرته ولزوم طاعته ، منهم يزيد بن مسعود النهشلي والمندر بن
الجارود العبدي ، فجمع يزيد بن مسعود بني تميم وبني حنظلة وبني
سعد فلما حضروا ، قال : « يا بني تميم كيف ترون موضعي منكم وحسبي
منكم » فقالوا : بخ بخ انت والله فقرة الظهر ورأس الفخر حلت

في الشرف وسطاً وتقدمت فيه اشواطاً

قال : فاني قد جمعتمكم لامر اريد ان اشاوركم فيه واستعين بكم عليه، فقالوا : انا والله نمحك النصيحة ونجهد لك الرأي فقل حتى نسمع، فقال :

« ان معاوية مات فاهون به والله هالكا ومفقوداً، الا وانه قد

انكسر باب الجور والاثم وتضعضت اركان الظلم

» وكان قد احدث بيعة عقد بها امراً ظناً انه قد احكمه وهيئات

الذي اراد ، اجتهد والله ، ففشل وشاور فخذل ، وقد قام يزيد شارب

الخمور ورأس الفجور بدعي الخلافة على المسلمين ويتأمر عليهم بغير

رضى منهم ، مع قصر حلم وقلة علم ، لا يعرف من الحق موطن ، قدمه

فاقسم بالله قسماً مهروراً لجهاده على الدين افضل من جهاد المشركين ،

وهذا الحسين بن علي امير المؤمنين وابن رسول الله ذو الشرف

الاصيل والرأي الاثيل ، له فضل لا يوصف وعلم لا ينزف وهو اولى

بهذا الامر لسابقته وسنه وقدمه وقرابته ، يعطف على الصغير ويحسن

الى الكبير ، فاكرم به راعي رعية وامام قوم ، وجبت لله به الحجة

وبلغت به الموعظة ، فلا تعشوا عن نور الحق ولا تسكموا في وهد

هذا الباطل ، فقد كان صخر بن قيس انخذل بكم يوم الجمل فاغسلوها

ينحروكم الى ابن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ونصرته ، والله

لا يقصر احد عن نصرته إلا اورثه الله تعالى الذل في ولده والقلة في

عشيرته وها انا ذا قد لبست للحرب لامتها وادرعت لها بدرعها من
لم يقتل بمت ومن يهرب لم يفت ، فاحسنوا رحمكم الله رد الجواب «
فتكلمت بنو حنظله فقالوا : ابا خالد نحن نبل كنانتك وفرسان عشيرتك
ان رميت بنا اصبنا وان غزوت بنا فتحت ، لا نخوض والله غمرة الا
خضناها ، ولا تلقى والله شدة الا لقيناها ، نصرك باسيافنا ونقيك
بابداننا اذا شئت .

وتكلمت بنو سعد بن زيد فقالوا :

« ابا خالد ان ابغض الاشياء الينا خلافتك والخروج من رأيتك
وقد كان صخر بن قيس امرنا بترك القتال فحمدنا ما امرنا وبقي
عزنا فينا ، فامهلنا تراجع المشورة ونأنتك برأينا »

وتكلمت بنو عامر بن تميم فقالوا :

« ابا خالد نحن بنو ابيك وحلفائك ؛ لا نرضى ان غضبت
ولا نوطن ان ظفنت ، والامر اليك فادعنا نجيبك ، وممرنا نطعمك ،
والامر اليك اذا شئت »

فقال : « والله يا بني سعد لئن فعلتموها لارفع الله السيف عنكم
ابداً » .

ثم كتب الى الحسين (عليه السلام) :

« اما بعد فقد وصل الي كتابك وفهمت ما نددتني اليه ودعوتني

له من الّاخذ بحظي من طاعتك ، والفوز بنصيب من نصرتك ، وان
الله لم يخل الارض قط من عامل عليها بخير ، ودليل على سبيل نجاة
وانتم حجة الله على خلقه ، ووديعته في ارضه ، نفرعتم من زيتونة
احمدية هو اصلها ، وانتم فرعها ، فاقدم سعادت باسعد طائر فقد ذللت
لك اعناق بني تميم وتركتهم اشدّ نتابعا في طاعتك من الابل الظأى
لورود الماء يوم خميسها ، وقد ذللت لك بني سعد وغسلت دون قلوبها
بماء سحاب مزن حين استهل برقها فلمع »

واما المنذر بن الجارود فانه جاء بالكتاب والرسول الى عبيد
الله بن زياد ، لانه خاف ان يكون الكتاب مدسوسا من عبيد
الله ، وكانت ابنته زوجة عبيد الله ، فاخذ ابن زياد الرسول فصلبه ،
ثم صعد الى المنبر فقال :

« اما بعد فان امير المؤمنين ولاني الكوفة وانا غاد اليها
الغداة وقد استخلفت عليكم اخي عثمان بن زياد ، فاباكم
الحلاف والارجاف ، فوالذي لا آله غيره ، اني بلغني عن رجل
منكم خلاف لاقتله ، وعريفه ووليه ، ولا آخذن الاذنى بالاقصى
حتى نستمعوا لي ، ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق ، انا ابن
زياد اشبهته من بين من وطئ الحصى »

وكذلك اراد ابن زياد ان يوطد امر البصرة قبل ان

يمشي الى الكوفة ، والى ما ندبه له يزيد بن معاوية من القضاء
 على الشيعة فيها ، وخطبته هذه بما فيها من قوة وتهديد ،
 وانذار وتلويح وتلميح ، تدلنا على ما كان يدور في خلدِه لما
 القاها ، وقد ظن انه قد اخمد فيها الثورة ، ووطد الامر ، وقمع
 الخلاف .



جاسوس ابن زياد

كان النعمان بن بشير عاملاً على الكوفة في ذلك العهد ، وكان رجلاً صالحاً ديناً ، يدين بنى امية بالطاعة ، ويكره انتفاض العرب عليهم ، ولكنه كان ضعيفاً ليناً في ما يتصل بسياسة الشيعة وآل البيت ، وكان يكره ان يصاب احد منهم في عهده ، او يراق دم في مصره ، فلما نزل مسلم الى الكوفة ؛ تجاهل النعمان وجوده ، ولم يعرض له بخير ولا شر ، فانكر ذلك انصار بنى امية وكتبوا يزيداً بموقفه وضعفه ولينه ، فسأل يزيد (ابن سرجون) مولى معاوية رآيه فتصححه بان يولي ابن زياد الكوفة كما قدمنا ، وكان يزيد له كارهاً وعليه ناقماً ، وقال سرجون يحاوره :

— ارأيت لو اشر لك معاوية اكنت آخذاً برأيه ؟

فقال يزيد : نعم

فقال سرجون : « اذن فابعث بالولابة الى ابن زياد فان معاوية

قد عهد له بها قبل وفاته .

وكان عبيد الله بن زياد شاباً شديداً قوياً بطاشاً ، تولى خراسان

اول عهده بالادارة ، وقبل وفاة معاوية ^(١) فاظهر مدة ولايته فيها
بطشاً وجرأة وشدة وقوة ، وحارب الترك في تلك الاصفاع مدة
سنتين ، ثم نقل من خراسان الى اماراة البصرة ، ولما توفي زياد بن
ابيه وعاد شأن الخوارج الى الظهور ، اشتد عيبه الله في قمعهم وحرهم
وقتلهم شر قتلة ، وشردهم في البلاد والامصار ، وكان عيبه الله
دون ابيه ذكاه وبلاغة ، ولكنه كان مثله شدة وقسوة ، فلما ولاء
يزيد الكوفة مع البصرة ، اصبح والي العراق كله من اقصاء الى
اقصاء ونائب الملك فيه .

واقبل ابن زياد الى الكوفة في صباح يوم شديد الحر
عظيم القبط ، وفي ركابه وجوه اهل البصرة كشريك بن الاعور
والمندر بن الجارود وغيرهم ، ودخل الكوفة وعليه عمامة سوداء
وهو متلثم ، وكان قد بلغ اهلها ان الحسين عليه السلام مقبل عليهم ،
فلما ابصروه وجماعته ظنوه اياه ، فاخذ لا يمر على جماعة من الناس الا
سلموا عليه ودعوا وقائوا .

— مرحباً بابن بنت رسول الله ، قدمت خير مقدم

ومشى ابن زياد الى دار الامارة لا يكلمهم ، وقد رأسه من
تباشرهم بالحسين ما ساءه ، وخرج الناس من دورهم يتفنون له ،

(١) يقول ابن عساكر انه كان في الخامسة والعشرين من عمره لما ولي

ويسبرون خلفه ، فلما سمع النعمان بن بشير عامل الكوفة جلبه الناس
وهتافهم ، ايقن بقدوم الحسين ، فاطلق عليه باب القصر ،
وانتهى اليه عبيد الله ومعه الخلف ، يصبحون ، فقال له النعمان من
وراء الباب :

انشدك الله الا تنحبت ، والله ما انا مسلم لك امانتي ومالي في
قتالك من رب

فقال له عبيد الله بن زياد : «فتح لا فتحت لقد طال لي لك»
وسمعا انسان خلفه ، فنكص الى القوم يقول :
— يا قوم ، هذا ابن مرجانة — ابن زياد — والذي لا
له غيره .

ولما سمع النعمان صوت ابن زياد فتح له الباب ، فدخل ،
واغلقه خلفه وتفرق الناس .

ورأى ابن زياد ان يستعجل الحوادث فلما اصبح نادى مناديه :
« الصلاة جامعة » وكان من عادة كل امير جديد ان يدعو الناس
الى الصلاة يقرأ عليهم كتاب الامارة ، ويقف فيهم على منبر
المسجد خطيباً ، يتناول سياسته بشيء من التفصيل او القصد ، وفاقاً
للظروف الحاضرة .

وفي صباح اليوم التالي اجتمع الناس للصلاة ، فخرج ابن زياد

اليهم ، وصعد المنبر وحمد الله واثنى عليه ثم قال :

« اما بعد فان امير المؤمنين اصابه الله ولا في مصركم وثغركم
وفيثكم ، وامرني بانصاف مظلومكم ، واعطاء محرومكم ،
وبالاحسان الى سامعكم ومطيعكم ، وانا متبع فيكم امره ،
فانا لمحسنكم كالوالد البر ، وسوطي ومبني على من ترك امره
وخالف عهدي »

ثم نزل عن المنبر ، وارتحل النعمان بن بشير نحو وطنه بالشام ،
واخذ ابن زياد العرفاء والناس اخذاً شديداً فقال لهم :

« اكتبوا الى الغرباء ومن فيكم من طلبة امير المؤمنين ، ومن
فيكم من الحرورية والخوارج واهل الرب الذين شأنهم الخلاف
والنفاق والشقاق ، فمن كتبهم لنا برى ، ومن لم يكتب لنا احداً
فليضمن لنا في عرافته ان لا يخالفنا منهم مخالف ، ولا يبغينا علينا منهم
باغ ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة ، وحلال لنا دمه وماله ، وايماء
عريف وجد في عرافته من بغية امير المؤمنين احد لم يرفعه البنا صلب
على باب داره والغيت تلك العرافة من العطاء »

ولما سمع مسلم بن عقيل محيي عبيد الله الى الكوفة ومقاتله
التي قالها وما اخذ به العرفاء والناس ، خرج من الدار التي كان فيها
بعد عتمة ، الى دار هاني بن عروة المرادي ، وكان من اشراف اهل

الكوفة ودخل في بابه وارسل اليه : اتيتك لتضيضي وتجيرني
قال له هذا : « لقد كلفتني شططاً لولا دخولك داري وثقتك
بي لاحتيت ان تنصرف لشأنك ، غير انه لزممني من ذلك ذمام
ادخل فدخل

واخذت الشيعة تختلف اليه في دار هانيء على نسترواستخفاء
من عبيد الله ؛ ونواصوا بالكتان ، وجاء شريك بن الاعور ، حتى
نزل على هانيء في داره ، وكان من كبار الشيعة ، ولما تحول
مسلم بن عقيل الى دار هانيء بن عروة ، وبابعه ثمانية عشر ألفاً
من اهل الكوفة كتب كتاباً الى الحسين مع عباس بن ابي شبيب
الشاكرى ، يخبره بالبيعة له واجتماع الناس عليه ، وانتظارهم
ايامه ، وفيه :

« اما بعد فان الرائد لا يكذب اهله ، وقد بايعني من اهل
الكوفة ثمانية عشر ألفاً ، فعجل الاقبال حين يأتيك كتابي ، فان
الناس كلهم معك ، ليس لهم في آل معاوية رأي ، ولا هوى
والسلام »

ودعا ابن زباد مولى له يقال له معقل التميمي واعطاء ثلاثة
آلاف درهم وامره ان يسأل عن مسلم بن عقيل ، ويعلمه انه غريب
يجب هذا الامر ويدفع اليه المال ، فلم يزل الجاسوس يتلطف ، حتى دل

على شبح من اهل الكوفة بلي البيعة للحسين ، وهو مسلم بن عوسجة
الاسدي ، فقصدته في المسجد الاعظم وهو يصلي ، وراح ينتظره حتى
قضى صلاته فاخبره انه من اهل الشام ، انعم الله عليه بحب اهل
البيت ، وتباكى له وسأله ان يداه على صاحبه ليبايعه ، فقال له ابن
عوسجة :

لقد سرتني لقاءك اباي وسأني ، فاما ما سرتني من ذلك
فما هالك الله له من حبك اباهم ، واما ما سأني فمعرفة الناس اباي
بهذا الامر قبل ان يستحكم .

وطلب منه معقل ان يأخذ البيعة عليه ، فاخذ بيعته واخذ عليه
المواريق المغلظة ليتأصحن ، واخذ يختلف مع الناس ، وطلب له
الاذن فاذن له مسلم بن عقيل واخذ بيعته وأمر باقامة الصائدي بقبض
المال منه ، وهو الذي كان يقبض اموالهم وما يعين به بعضهم بعضاً
ويشتري لهم السلاح ، وكان به بصيراً ، وكان من فرسان
العرب ووجه الشيعة ، واقبل معقل يختلف اليهم فهو اول داخل
واخر خارج حتى منهم ما احتاج اليه ابن زياد من امرهم ، فكانت
بخبره به وقتاً فوقتاً ، وخاف هاني بن عروة عبيد الله على نفسه ،
وكان هاني واحد الامراء الكبار ، ولم يسلم على عبيد الله منذ قدم
وانقطع عن حضور مجلسه فتمارض ، وروى ابن الاثير انه مرض
فاثابه عبيد الله بعوده فقال له عمارة بن السلولى :

قد أمكنك الله من هذه الطاغية وقتله

فقال هانيء : « ما أحب أن يقتل في دري »

ومرض بعد جمعة شريك بن الأعور ، وهو في دار هانيء
وكان كريماً على ابن زياد وعلى غيره من الأمراء ، فأرسل إليه عبيد
الله ، أني رايح اليك العشية ؛ فقال لمسلم :

ان هذا الفاجر عاثي العشية ، فإذا جئنا خرج اليه فاقته
ثم أقعد في القصر

وجاء عبيد الله وجلس فاطال جلوسه ، وامتنع مسلم عن قتله
لكرهية قتله في دار هانيء ، وحديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « ان الايمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن بمؤمن » كما أخبر
مسلم بذلك لما سأله شريك ما منعك من قتله ، قال : « خطبتان »
وذكر ما تقدم

فقال له شريك : « لو قتله لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً
غادراً »

ولبت شريك بعد ذلك ثلاثاً ثم مات
وذكر عبيد الله بن زياد بعد أيام ، هانيء بن عروة جلسائه وقال :
ما لي لا أرى هانئاً ؟

فقالوا : هو شاك

فقال : « لو علمت بمرضه لعدته »

ودعا محمد بن الاشعث، واسماء بن خارجة، وعمر بن الحجاج
الزيدي، فقال لهم :

ما يمنع هانيء بن عروة من اتيانا ؟

فقالوا : « ما ندري وقد قيل انه عليل منذ ايام »

قال : « بلغني انه بريء وهو يجلس على باب داره ، فالتقوه
ومروه ان لا بدع ما عليه من حقنا، فاني لا احب ان يفسد عندي
مثله من اشراف العرب »

فانوه عشية وهو جالس على بابه، فاخبروه ان الامير ذكره ،
وقال : « لو علم انه شاك لعاده ، وانه بلغه انه يجلس على عتبة
باب داره وقد استبطأه » واقسموا عليه ان يركب معهم ليسل
سخيمة قلبه ، فركب بغلته وسار معهم فلما دخل القوم على عبيدالله
ابن زياد وهانيء معهم قال ابن زياد :

انتك بخائن رجلاه

فلما دنى هانيء من ابن زياد وعنده شربح القاضي التفت نحوه
فقال :

اريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خيلك من مراد
وكان اول ما قدم مكرماً له

فقال له هانيء : وما ذاك ايها الامير ؟

قال : ايه باهاني ، بن عروة ، ما هذه الامور التي تربص في دارك
لامير المؤمنين وعامة المسلمين ، جئت بمسلم بن عقيل فادخلته دارك
وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك ، وظننت ان ذلك
بخفي علي ؟

قال : « ما فعلت ذلك وما مسلم عندي »

قال : « بلي قد فعلت »

فلما كثر النزاع بينهما ، دعا ابن زياد معقلاً جاسوسه ، فجاء
حتى وقف بين يديه فقال له :
— انعرف هذا ؟

قال : نعم

وعلم هاني ، عند ذلك انه كان عيناً عليهم وانه اتاه باخبارهم ،
فسقط في يده ساعة ، ثم راجعته نفسه فقال :

اسمع مني وصدق مقالتي ، والله ما دعوته منزلي ، ولكنه
جاءني يسألني النزول فاستحييت من رده
قال : اثني به

قال : لا اجيبك به ابدأ انا اجيبك بضيفي نقتله ، والله لو كان
تحت قدمي ما رفعتهما عنه

قال : ادنوه مني فادني ، فاعترض وجهه بالقضيب ، فلم يزل
يضرب به انفه وجبينه وخده حتى كسر انفه ، وسيل الدماء على

ثيابه ونثر لحم خديه وجبينه على لحبته ، واهوى هانيء الى سيف
شرطي ليسله فدفع عن ذلك

فقال عبيد الله : « قد احل الله دمك » وامر به فلقوه في
بيت في جانب القصر حبس فيه ، فقام اساء بن خارجة فقال :
— ارسل غد ونحن اليوم ؛ امرتنا ان نجيئك بالرجل
حتى اذا جئناك به هشت انفه ووجهه ؛ فامر به عبيد الله فلهز
وضرب .

فقال محمد بن الاشعث : رضينا بما رأى الامير ، لنا كان ام
علينا ، انما الامير مودب

وبلغ عمرو بن الحجاج ان هاتئاً قتل ، فاقبل في مدحج
حتى احاط بالقصر ونادى :

— انا عمر بن الحجاج وهذه فرسان ندحج ووجوهها ، لم
نخلم طاعة ولم نفارق جماعة ، وقد بلغهم ان صاحبهم قتل
فاعظموا ذلك

فقال عبيد الله لشريح القاضي ، وكان حاضراً ، ادخل على
صاحبهم فانظر اليه ثم اخرج اليهم فاعلمهم انه حي فدخل شريح
فنظر اليه ، فقال هانيء لما رأى شريحاً وسمع الضجة : اني لاظنها
اصوات مدحج بالله للمسلمين .

فخرج شريح ومعه جاسوس لابن زياد فقال لهم :

ان الامير امرني بالدخول عليه فانيته ، فمري ان
اعرفكم انه حي ، وان الذي بلفكم من قتله باطل ، وانما
حبسه ليساله

فقال عمرو بن الحجاج واصحابه : « اذا لم يقتل فالحمد لله »
وانصرفوا .



مقتل رسول الحسين

احسن مسلم بن عقيل مندوب الحسين رضي الله عنه الى اهل الكوفة ، بعد سجن هاني ، وضربه ، ان عليه النهوض والمدافعة عنه ، واستخلاصه من ايدي ظلامه ، فنهض في جماعته ورجاله ومن بايعه على طاعة الحسين ، وشد ازره ، وحدث احد الرواة فقال : « انه كان اول من دخل الدار على مسلم بمحدثه بما وقع لهاني » ، فامر مسلم ان ينادي بشعاره (يا منصور امت) فنادى ، فاجتمع اليه من اهل الكوفة اربعة آلاف ، فمقد مسلم لعبد الرحمن بن كريب الكندي على ربع كندة وريعة ، وقال له : سر امامي في الخيل وعقد لمسلم بن عوسجة الاسدي على ربع مذحج واسد ، وقال : انزل في الرجال ، وعقد لابي تمامه الصائدي على ربع تميم وهمدان ، وعقد للعباس بن جعدة بن هبيرة على قريش والانصار ، ولما قدم مسلم مقدمته وعين ميمنته وميسرته ، سار في القلب نحو القصر الى عبيد الله ، فضاق بعبيد الله امره وليس معه في القصر الا ثلاثون رجلاً من الشرط وعشرون رجلاً من وجوه اهل الكوفة واهل بيته ومواليه ، فعمد عندئذ الى الحيلة والمكر بحارب بهما خصومه

فدعا كثير بن شهاب وامره ان يخرج فيمن اطاعه من مذحج فيسير
في الكوفة ويخذل الناس عن ابن عقيل ، ويخوفهم الحرب ويحذرهم
عقوبة السلطان ، وامر محمد بن الاشعث ان يخرج فيمن اطاعه من
كندة وحضر موت فيرفع راية الامان لمن جاءه من الناس ،
وقال لمن كان عنده من رجالات الكوفة مثل ذلك وحبس باقي وجوه
الناس عنده استيعاشاً اليهم لقلة عدد من معه من الناس

فخرج كثير بن شهاب يخذل الناس عن مسلم ، وخرج محمد
ابن الاشعث حتى وقف عند دور بني عمارة ، فبعث ابن عقيل الى
محمد بن الاشعث عبد الرحمن بن شريح الشامي ، فلما رأى ابن
الاشعث كثرة من اتاه تأخر عن مكانه ، واخذ هو وكثير بن
شهاب والقعقاع بن شورو شيث ابن ربيعي ، يردون الناس عن اللحاق
بمسلم ويخوفونهم السلطان حتى اجتمع اليهم عدد كبير من قومهم
وغيرهم ، فصاروا الى ابن زياد ودخل القوم معهم واقام الناس مع
ابن عقيل بكثرته حتى المساء وامرهم شديد ، فبعث عبد الله الى
الوجوه فجمعهم وطلب منهم ان يشرفوا على الناس ويردوهم
ويخذلوهم عن ابن عقيل ويقولون :

— الحقوا باهاليكم ولا تعرضوا انفسكم للقتل فان هذه

جنود امير المؤمنين قد اقبلت ، وقد اعطي الامير عهداً لئن لم تنصرفوا
من عشيةكم ، ان يحرم ذريبتكم العطاء وان يأخذ البري بالسقيم

والغائب بالشاهد ، حتى لا يبقى فيكم بقية من اهل المعصية الا اذاقها وبال ما جرت ابديةا

ونكلم الاشراف بنحو من هذا الكلام وجعلوا يمتنون اهل الطاعة بالزيادة والكرامة ، وبخوفون اهل المعصية الحرمان والعقوبة .

و كان الرجل يأتي ابنه واخاه وابن عمه فيقول : انصرف فان الناس يكفونك ، وتجيء المرأة الى ابنها وزوجها ، فتقول : غداً يأتيك اهل الشام فما تصنع بالحرب وتعلق به حتى يرجع

فما امسى مسلم بن عقيل الا واصحابه ينفرون ، حتى صار في خمسمائة ثم بقي في ثلاثمائة ثم لم يبق معه الا ثلاثون رجلاً صلى بهم المغرب في المسجد ، فلما اختلط الظلام ذهب واثك ايضاً ، ويبقى معه احد يدلّه على الطريق ، ولا من يدلّه على منزله ، او يواسيه بنفسه ان عرض له عدو ، فمضى على وجهه في ازقة الكوفة لا يدري اين يذهب ، حتى خرج الى حي كندة فانتهى الى باب امرأة يقال لها طوعة ام ولد كانت للاشعث بن قيس ، فاعتقها فتزوجها اسيد الحضرمي فولدت له بلالا ، وكان بلال خرج مع الناس وامه تنظره فلم عليها ابن عقيل فردت عليه ، فقال لها :

— يا امة الله اسقني ماء

فدخلت فسقته ، وادخلت الاناء ثم خرجت : وهو جالس

مكانه فقالت :

باعد الله ألم تشرب ؟

قال : بلى

قالت : اذهب الى اهلك ، فسكت ، ثم عادت فقالت : مثل ذلك فسكت ، ثم قالت له : مر الى اهلك عافاك الله فانه لا يصلح لك الخنوس على بابي ولا احله لك .

فقام وقال : « يا امة الله مالي في هذا المصر منزل ولا عشيرة »
وهل لك في اجر ومعروف واعلمي مكافئك به بعد اليوم
فقالت : وما ذاك

قال : انا مسلم بن عقيل كاذبي هو لاء القوم ، وعروني
وخذني

فادخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي تسكن فيه وفرشت له
وعرضت عليه المشاء فلم يتعش وجاء ابنها فراآها فكثرت الدخول
والخروج منه فقال :

والله لترييني كثرة دخولك هذا البيت منذ الليلة وخرجك
منه ، ان لك شأناً

فقالت له : لا تسألني عن شيء

فخرج عليها فقالت :

بابي لا يتحدث احداً من الناس بما اخبرك به ، واخذت

عليه الايمان فحلف لها فاخبرته ، فاضطجع وسكت

وجعل ابن زياد لا يسمع لاصحاب ابن عقيل صوتاً فقال لاصحابه : اشرقوا فانظروا هل ترون منهم احداً ، فشرقوا فلم يروا احداً ، فاعلموا ابن زياد ففتح باب السدة التي في المسجد ، وكان المسجد مع القصر ، فخرج فيمن كان معه وجلس اصحابه حوله ووضع الشموع والقناديل ، وامر عمرو بن نافع فنادى بالكوفة «الا برئت الذمة من رجل من الشرطة والعرفاء والمناكب والمقاتلة صلي العشاء الا في المسجد»

فلم يكن الا ساعة حتى امتلأ المسجد من الناس واقام مناديه الصلاة واقام الحرم خلفه وامرهم بمجراسته من ان يدخل عليه من بيتاله ، وصلى بالناس صلاة العشاء ثم صعد المنبر فقال : «اما بعد فان ابن عقيل السفية الجاهل قد اتى ما قد رأيتكم من الخلاف والشقاق فبرئت ذمة الله من رجل وجدناه في داره ومن جاءنا به فله دية ، اتقوا الله عباد الله والزمو طاعتكم ويعتكم ولا تجعلوا على انفسكم سيلا»

ونزل ابن زياد عن المنبر بعد ان صدر امره الى الحصين بن نمير بمراقبة سكك الكوفة والقبض على ابن عقيل ، وكان الحصين على شرطته ، وعقد لعمر بن حربث رابته وامره على الناس

فلما كان الصباح جلس مجلسه واذن للناس فدخلوا عليه ، واقبل
 محمد بن الاشعث فقال له ابن زياد : « مرحباً بمن لا يستغش ولا
 يتهم » واقعده معه على سريرته .

واصبح ابن تلك العجوز وهو بلال بن اسيد الذي آوت
 امه ابن عقيل ففدا الى عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وهو حينئذ
 غلام فاخبره بمكان ابن عقيل عند امه ، فاقبل عبد الرحمن حتى اتى
 اياه وهو عند ابن زياد فساره ، فسأله : اين زياد
 قال : اخبرني ان ابن عقيل في دار من دورنا

فنحس بالقضيب في جنبه وقال : « قم فأنتي به الساعة »
 وبعث الى عمر بن حربث خليفته على الناس « ان ابث مع
 ابن الاشعث ستين او سبعين رجلاً كلهم من قريش »

فسار ابن الاشعث ومعه عبيد الله بن العباس السلمي في ستين
 او سبعين رجلاً من قريش حتى اتوا الدار التي فيها مسلم بن عقيل ،
 فلما سمع وقع حوافر الخيل واصوات الرجال علم انه قد اتى ، فخرج
 اليهم بسيفه وافتحموا عليه الدار فشده عليهم فضربهم بسيفه ، حتى
 اخرجهم من الدار ، ثم عادوا اليه فشده عليهم ، فلما رأوا ذلك اشرفوا
 عليه من فوق ظهر البيت واخذوا برمونه بالحجارة وبلهون النار في
 اطنان القصب ثم بلقونها عليه من فوق البيت ، فلما رأى ذلك
 خرج عليهم مصلاً سيفه فقاتلهم في السكة ، فاقبل عليه محمد بن

الاشعث وقال له :

يا بني لك الامان ، لا تقتل نفسك

وكان مسلم قد اشحن بالجراح وعجز عن القتال فاستند ظهره
الى حطب تلك الدار ، فاعاد ابن الاشعث عليه القول ، لك الامان ،
فقال : يا آمن انا

قل : نعم ، وامنه القوم ايضاً

فقال ابن عقيل : اما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي بايديكم
وانى بيغلة فحمل عليها ، فاجتمعوا حوله ونزعوا سيفه فيش عند
ذلك من نفسه ودمعت عيناه ، ثم قال

هذا اول القدر

قال له محمد بن الاشعث : ارجو ان لا يكون عليك بأس
فقال : وما هو الا الرجاء ، اين امانكم ؟ انا لله وانا اليه
راجع ، وبكى

فقال له عبد الله بن العباس السلمي : ان من يطلب مثل الذي
نطلب اذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك

فقال : انى والله ما لنفسي ابكى ولا لها من القتل ارثي ، ولكن
ابكى لاهلي المقبلين اليكم ، ابكى للحسين وآل الحسين ، ثم قال
لمحمد بن الاشعث : انى اراك ستعجز عن امانى فهل عندك خير ،
تستطيع ان تبعث من عندك رجلاً على لساني يبلغ حسبي فاني لا

لا اراه الا قد خرج اليكم اليوم مقبلاً ، او هو خارج غداً هو
 واهل بيته ، وابقل له : ان ابن عقيل بعثني اليك وهو اسير في ايدي
 القوم لا يرى انه يسي حتى يقتل ، فارجع فذاك نبي وامي باهل
 بيتك ولا يغرك اهل الكوفة فانهم اصحاب ابيك الذي كان
 يتمنى فراقهم بالموت او القتل ، ان اهل الكوفة كذبوك وليس
 لمكذوب رأي

فقال ابن الاشعث « والله لافعلن ، ولا علمن ابن زياد اني قد
 امتك »

ودعا ابن الاشعث اياس بن العثل الطائي وقال له :
 « الق حسيناً فابلغه هذا الكتاب » وكتب فيه الذي امره
 ابن عقيل وقال له : هذا زادك وجهازك ومثمة اعيالك ، واعطاءه راحلة
 وكل ما يحتاج اليه في سفره

واقبل ابن الاشعث بابن عقيل الى باب القصر فاستأذن فاذن
 له ، فدخل على ابن زياد واخبره خبر ابن عقيل وما كان من امانه
 له ؟ فقال له عبيد الله :

وما انت والامان كأننا ارسلناك لتؤمنه ، انما ارسلناك
 لتأنيبنا به

فسكت ابن الاشعث ، وانتهى بابن عقيل الى باب القصر

وقد اشتد به العطش وعلى باب القصر اناس ينتظرون الاذن، واذا قلة
فيها ماء بارد موضوعة على الباب، فقال مسلم بن عقيل:
— اسقوني من هذا الماء

فقال مسلم بن عمرو: اتراها ما ابردها، والله لا تتذوق منه
قطرة حتى تذوق الحميم في نار جهنم
فقال له ابن عقيل: ويلك من انت
قال: انا من عرف الحق اذا انكرته، ونصح الامامه اذا غششته
واطاعه اذا خالفته، انا مسلم بن عمرو الباهلي
فقال له ابن عقيل: « لأمك الشكل ما اجفأك وافظك واقسى
قلبك »

ثم جلس ونساند الى حائط، وبعث عمارة بن عقبة غلاماً له
فجاءه بقلة عليها مندبل وقدح فصب فيه ماء وقال له: اشرب!
فاخذ كلما شرب امتلأ القدح دماً من فيه، فلا يقدر ان
يشرب، ففعل ذلك مرة ومرتين، ولما ذهب في الثالثة ليشرب
سقطت ثنيته في القدح، فقال: الحمد لله لو كان لي من الرزق
المقسوم لشربته

وخرج رسول ابن زياد فامر بادخاله اليه فلما دخل لم يسلم
عليه بالا مرة، فقال له الحرسي:
— الا تسلم على الامير؟

فقال : ان يريد قتلي فما سلامي عليه ، وان كان لا يريد قتلي

ليكثر سلامي

فقال له ابن زياد : لعمرى لتقتلن

قال : كذلك !! قال : نعم

قال فدعني او صي الى بعض قومي ، قال : افعل

فنظر مسلم الى جلساء عبيد الله وبينهم عمر بن سعد بن ابي

وقاص ، فقال : يا عمر ان بيني وبينك قرابة ولي اليك حاجة وقد

يجب لي عليك نفع حاجتي ، وهي سر

فامتنع عمر ان يسمع ، فقال له عبيد الله :

— لم تمتنع ان تنظر في حاجة ابن عمك ؟

فقام معه وجلس حيث ينظر اليهما ابن زياد ، فقال مسلم له :

— ان علي بالكوفة ديناً استدته منذ قدمت الكوفة سبعمائة

درهم فبع سبني ودرعي فاقتضها عني ، واذا قتلت فاستوهب جثتي من

ابن زياد فوارها ، وابعث الى الحسين من يوده فاني قد كتبت اليه

اعلمه ان الناس معه ، ولا اراه الا مقبلا

فقال عمر لابن زياد : « انه قال كذا وكذا »

فاجاز ابن زياد ذلك كله وقال :

ان الامين لا يخونك والكن قد يؤمن الخائن ، اما مالك

فهو لك ولستنا نمنعك ان نصنع به ما احببت ، واما جثتك فلانبالي

اذا قتلناك ما يصنع بها ، واما حسين فانت هو لم يردنا لم نرده
 ثم قال ابن زياد : يا ابن عقيل انيت الناس وامرهم مجتمع
 فشتت بينهم وفرقت كلتهم وحملت بعضهم على بعض
 قال : كلا انت لذك انيت ، ولكن اهل هذا العصر زعموا
 ان اباك قتل خيارهم وسفك دماءهم ، وعمل فيهم اعمال كسرى
 وقيصر فاتيناهم لنامر بالعدل وندعو الى حكم الكتاب والسنة .
 فقال له ابن زياد : وما انت وذاك يا فاسق ، قتلي الله ان لم
 اقتلك قتلة لم يقتلها احد في الاسلام
 فقال مسلم : اما انتك احق من احدث في الاسلام ما ليس
 فيه ، وانك لا تدع خبيث السيرة ولو لم القيلة وقبح المثلة .
 فاقبل ابن زياد يشتمه ويشتم الحسين وعلباً وعقيلاً عليهم
 السلام ، واخذ مسلم لا يكلمه ، ثم قال ابن زياد :
 - اصعدوا به فوق القصر واضربوا عنقه
 فقال مسلم لابن الاشعث : لو لا امانك ما سلمت ، قم بسيفك
 دوني قد اخفرت ذمتك
 ودعا ابن زياد بكبير بن حمران الاحمري الذي ضرب ابن
 عقيل رأسه بالسيف وقال له :
 - اصعد فلتكن انت الذي تضرب عنقه
 فصعد به وهو بكبير ويستغفر الله وبصلي على رسوله ويقول :

« اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا و كذبونا و خدعونا » واشرف به على الناس وهم على باب القصر مما يلي الرحبة فضرب عنقه امامهم فسقط رأسه على الرحبة، ثم القيت جثته الى الناس ، وقام محمد بن الاشعث الى عبيد الله بن زياد فكلمه في هانيء بن عروة فقال :

— انك عرفت منزلة هانيء في المصر وبيته في المشبرة ؛ وقد

علم قومه اني انا وصاحبي سقناه اليك فانشدك الى لما وهبته لي ؟
 فوعده ان يفعل ثم بدا له رأي آخر فامر بهانيء حين قتل مسلم ، فقال : « اخرجوه الى السوق واضربوا عنقه » فاخرج هانيء حتى انتهى الى مكان من السوق كان يباع فيه الغنم وهو مكتوف فيجعل يقول :

— وامذحجاء ولا مذحج لي اليوم .
 فلما رأى ان احداً لا ينصره جذب يده فزعها من الكثاف ، ثم قال :

— اما من عصا او سكين او حجر او عظم يدافع به رجل عن نفسه ؟

فوثبوا اليه وشدوه وثاقاً ، وقيل له ان امدد عنقك ، فقال :

— ما انا بسخي وما انا بمعينكم على نفسي
 فضربه مولى لعبيد الله تركي يقال له رشيد بالسيف فلم يصنع شيئاً ، فقال هانيء :

— الى الله المعاد اللهم الى رحمتك ورضوانك

ثم ضربه اخرى فقتله

وفي رواية احمد بن داود الدينوري كان قتل هانيء بن عروة

عقب انصراف عمرو بن الحجاج ومن معه من مذحج ، قال :

« فلما علم ابن زياد انهم قد انصرفوا امر بهانيء بن عروة فاقتل

به السوق فضربت عنقه هناك

وكان قتل مسلم بن عقيل يوم الاربعاء لتسع مضين من ذي

الحجة وذلك يوم عرفة سنة ستين

قال اليباسي : ثم امر ابن زياد ببحث مسلم فصلبت ولما قتل

مسلم وهانيء بعث عبيد الله بن زياد برأسيهما مع هانيء بن ابي حبة

الوادعي والزيير بن الارواح التميمي الى يزيد بن معاوية ، وامر

كاتبه ان يكتب بما كان من امر مسلم وهانيء ، فكتب الكاتب

وهو عمر بن نافع فاطال وكان اول من اطال في الكتب فلما نظر

فيه عبيد الله كرهه وقال :

— ما هذا التطويل وما هذا الفضول ؟ اكتب :

« اما بعد فالحمد لله الذي اخذ لامير المؤمنين حقه وكفاه

مؤنة عدوه ، اخبر امير المؤمنين ان مسلم بن عقيل لجأ الى دار

هانيء بن عروة المرادي واني جعلت عليها العيون ودست اليها

الرجال وكدنهما حتى استخرجتهما وامكن الله منهما فضربت

عناقها وقد بعث اليك برأسها مع هاني بن ابي حية الوادي
والزبير بن الارواح التميمي وها من اهل السمع والطاعة والنصيحة
فليسألها امير المؤمنين عما احب من امرء فان عندها علماً وصدقاً
وورعاً والسلام»

فكتب اليه يزيد: اما بعد فانك لم تعد ان كنت كما احب،
عملت عمل الحازم، وصلت صولة الشجاع الرابط الجاش، وقد
اغثت وكفيت وصدقت ظني بك ورأيي فيك وقد دعيت رسوليك
وسألتها وناجيتها فرأيتها في رأيها وفضلها كما ذكرت فاستوص
بهما خيراً، وانه قد بلغني ان حسيناً قد فصل من مكة متوجهاً
الى العراق فازك العيون عليه، وضع الارصاد على الطرق،
واحترس واحبس على الظنة واقتل على التهمة واكتب الي فيما يحدث
من خير ان شاء الله .

وبذلك انتهت حياة مسلم بن عقيل الشاب الباسل، الذي
انكر عليه الاب لامنس ان يكون دافع عن نفسه وقاتل خصومه
العديد بسيفه ولوحده، وبأبي عليه الا ان يكون قد استسلم
لما رأى القوة قد احاطت به، ولا ندري المصدر الذي استقى منه
لامنس هذا الخبر، هذا اذا لم يكن من مخترعائه، وهي اكثر
ذلك ان امر دفاعه عن نفسه ومقابلة خصومه الذين يزيدون عن

السبعين ، من الامور التي اجمعت عليها كتب التاريخ ، واكدتها
مختلف السير والاخبار .

ولعل اروع ما في هذا الفصل ما اظهره مسلم من جرأة
وبسالة لما مثل بين يدي ابن زياد ، واهتمامه الاهتمام كله بانفاذ
الخبر الى الحسين وجماعته بان لا يردوا الكوفة ، بعد ان ثبت له
نقاعس الناس عن نصرتهم ، وتقضهم لبيعتهم ، وقد ادرك رحمه
الله انه مقتول ، وابقن ان القوم سيخذلون الحسين كما خذلوه ،
ويخلون بينه وبين عدوه بصادمه وحده ويقائله بشيعته القليلة واهله ،
وما كان بطوق هؤلاء ان يقفوا في وجه القوة العظيمة التي كان
بامتطاعة ابن زياد ارسالها عليهم ، ودفعها لحربهم ، فكان مثلهم
والحالة هذه مثل فرد يقاقل جيشاً ، وهو امر كان فوق الطاقة
وفوق الامكان



في طريق الكوفة

ينتظم ملك يزيد بن معاوية - وهو ملك ابى الله الا ان يكون قصير الاجل ، مفجع الحوادث ، دامي الوقائع - في ثلاثة فصول ومقدمة ، فاما المقدمة فقد شهدنا احداثها بمصرع مسلم بن عقيل ، واما الفصول الثلاثة فاولها معركة كربلاء ، وثانيها اقتحام المدينة واستباحتها للناس ، وثالثها محاصرة الكعبة ، وفي أثناء حصارها يهلك يزيد ، ويذهب الملك من اسرة معزوية ، ويمحق الله نسله فلا تقوم لهم قائمة ، ولا يفسدوا لهم خبر ، ولا يظهر لهم بعد ذلك شأن .

ولقد غضب يزيد على عامله الوليد بن عتبة في المدينة ان سمح للحسين بالرحيل الى مكة ، ولم يأخذه بالقوة على البيعة ، فراح يولي مكانه عمرو بن سعيد الملقب بالاشدق ، وكان الحسين عليه السلام قد دخل مكة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان سنة ٦٠ ، فاقام فيها بقية شعبان وشهر رمضان وشوالاً وذا القعدة وخرج منها لثلاث مضين من ذى الحجة يوم الثلاثاء ، وهو اليوم الذي خرج فيه مسلم

ابن عقيل بالكوفة ، وكان قد اجتمع عليه مدة مقامه بمكة نفر من
 اهل الحجاز ، ونفر من اهل البصرة ، وانضافوا الى اهل يثرب ومواليه
 ولما اراد الحسين عليه السلام التوجه الى العراق طاف بالبيت وسعى
 بين الصفا والمروة واحل من احرامه وجعلها عرة ، ولم يكن خبر
 مسلم بن عقيل قد بلغه لخروجه في يوم خروجه
 ويقال ^(١) ان ابن الزبير اتى الحسين فقال له :

« ان شئت ان تقيم بالحجاز اقم ، فوليت هذا الامر فآزرناك
 وساعدناك ونصحننا لك وبايعناك »

فابى الحسين فقال له ابن الزبير : فاقم ان شئت ونوليني انا الامر
 فتطاع ولا تعصى ، فقال : وما اريد هذا ايضا
 واتى عبد الله بن عباس ^(٢) الحسين فقال « قد ارجف الناس
 انك سائر الى العراق فبين لي ما انت صانع ؟ »

قال : قد اجعت السير في احد يومي هذين ان شاء الله تعالى
 فقال ابن عباس : اني اعيذك بالله من ذلك واتخوف عليك في
 هذا الوجه الهلاك ، ان من تقصدهم قوم غدر ، اقم في هذا البلد فانك
 سيد اهل الحجاز ، فان كان اهل العراق يريدونك كما زعموا فلينفوا
 عدوهم ، ثم اقدم عليهم ، فان ايت الا ان تخرج فسر الى اليمن فان

(١) ابن الاثير والطبري

(٢) الطبري وابن الاثير

حصوناً وشعباً ولايك بها شيعة

فقال له الحسين : يا ابن العم اني اعلم انك ناصح مشفق ولكني
قد ازمعت واجمعت على المسير

ولم يكن عند ابن الزبير^(١) شيء انتقل عليه من مكان الحسين
بالحجاز ولا احب اليه من خروجه الى العراق طمعاً في الثوب
بالحجاز، وعلماً بان ذلك لا يتم له الا بعد خروج الحسين فلقي الحسين
عليه السلام وقال له :

— على اي شيء عزمتم يا ابا عبد الله

فاخبره برأيه في انيان الكوفة ، واعلمه بما كتب به مسلم
ابن عقيـل ، فقال له ابن الزبير :

— فما يحبسك ، فوالله لو كان لي مثل شيعتك بالعراق لما
تلومت في شيء ، وقوى عزمه ثم انصرف

وجاءه عبد الله بن عباس وقد اجمع رأيه على الخروج ، فجعل
بناشده في المقام وبعظم عليه القول في ذم اهل الكوفة وقال له :

— انك نأني قوماً قتلوا اباك ، وطعنوا اخاك ، وما اراهم الا

خاذليك

فقال له : هذه كتبهم معي ؛ وهذا كتاب مسلم باجتماعهم

فقال له ابن عباس : ان كنت لا بد فاعلاً فلا تخرج احداً

من ولدك ولا حرمك، ولا نسائك فخليق ان تقتل وهم ينظرون
اليك كما قتل ابن عفان

فابي ذلك ولم يقبله، قال فذكر من حضره يوم قتل وهو
يلتفت الى حرمه وأخوانه وهن يخرجن من اخيبتن جزعاً تقتل من
بقتل معه، ويقول: لله در ابن عباس فيما اشار علي به.

قال فلما ابى الحسين عليه السلام قبول رأي ابن عباس ودعه
وانصرف ومضى الحسين لوجه

ولقي عبد الله بن العباس ابن الزبير بعد خروج الحسين
فقال له: قد خرج الحسين وخت لك الحجاز

ولقي الفرزدق بن غالب الشاعر الحسين خارجاً من مكة مع
اسيافه واتراسه فسلم عليه فسأله من انت؟

قال: امرؤ من العرب

فسأله نبأ الناس

فقال الفرزدق: قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني امية
والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء

فقال له الحسين: صدقت، الله الامر والله يفعل ما يشاء

ولما خرج الحسين من مكة اعترضه يحيى بن سعيد بن العاص
ومعه جماعة ارسلهم اخوه عمرو بن سعيد الاشدق، فقالوا له: انصرف
والا منعناك، فابي عليهم ومضى وتدافع الفريقان واضطربوا بالسياط

وامتنع الحسين واصحابه منهم امتناعاً قوياً ، وسار حتى التميم فلقى
غيراً اقبلت من اليمن فاستأجر من اهلها جملاً لرحله واصحابه
وقال لاصحابها :

« من اراد ان ينطلق معنا الى العراق وفيناه كراءه ، واحسنا
صحبه ، ومن اراد ان يفارقنا في بعض الطريق اعطيناه كراءه ،
على قدر ما قطع من الطريق »

فمضى معه قوم وامتنع آخرون والحقه عبد الله بن جعفر بن
ابي طالب بابنيه عون ومحمد ، وكتب اليه كتاباً على ابديهما
يقول فيه :

« اما بعد فاني اسألك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي ،
فاني اشفق عليك من الوجه الذي توجهت له ان يكون فيه هلاكك
واستئصال اهل بيتك ، وان هلك اليوم طفيء نور الارض ،
فانك علم المهتدين ورجاء المؤمنين فلا تعجل بالسير فاني في اثر
كتابي والسلام »

ولحق به عبد الله يحاول رده ، فلم يوفق ، واعتذر الحسين اليه
ولما آيس منه عبد الله بن جعفر امر ابنيه عوناً ومحمداً بلزومه
والمسير معه ، والجهاد دونه ، ورجع الى مكة .

ولما بلغ ابن زياد مسير الحسين من مكة بعث الحصين بن نمير
التميمي صاحب شرطته فنزل القادسية ونظم الخيل ما بين القادسية

الى خفان ، وما بين القادسية الى القطعة طائه ؛ والى جبل لعلع ، واخذ
ما بين واقصة الى طريق الشام ، الى طريق البصرة ، فلا يدعون
احداً بليج ولا احداً يخرج .

وتوجه الحسين عليه السلام ، نحو العراق حتى نزل ذات
عرق ، ولما بلغ الحاجز ، كتب الى اهل الكوفة مع قيس بن مسهر
الصيداوي يعرفهم قدومه ؛ وبأمرهم بالجد في امرهم^(١)
ولما انتهى قيس الى القادسية اخذه الحصين فبعث به الى ابن
زياد ، فقال له ابن زياد :

— اصعد القصر فصب الكذاب ابن الكذاب الحسين

ابن علي

فصعد قيس وحمد الله واثني عليه ثم قال :

« ان هذا الحسين بن علي خير خلق الله ابن فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا رسوله اليكم وقد فارقتهم
بالحاجز فاجيبوه » ثم لعن ابن زياد واباه واستغفر لعلي
فامر به ابن زياد فرمى من اعلى القصر ، فتقطع ومات
واقبل الحسين يسير نحو الكوفة وانتهى الى ماء من مياه
العرب فاذا عليه عبد الله بن مطيع وهو منصور من العراق
فاما رأى الحسين قام اليه وسلم عليه ، وقال :

— بابي انت وامي يا ابن رسول الله ما اخرجك من حرم الله
وحرم جدك .

فاخبره الحسين بما كتب به اليه اهل الكوفة ، فقال له
عبد الله :

— انشدك الله في حرمة الاسلام وقربش ان تنتهك ولئن
طالبت ما في ايدي بني امية ليقتلنك ولئن قتلوك لا يهابون بعدك
احداً ، فابى الا ان يمضي

ثم سار الحسين حتى انتهى الى (زرود) فنظر الى فسطاط مضروب
فسأل عنه ، فقبل له هو زهير بن القين البجلي ، وكانت عثمانياً
قد حجج واقبل من مكة ، فاستدعاه الحسين ، فشق عليه ذلك ، ثم
اجابه فلما عاد من عنده كان مشرف الوجه ، ظاهر البشر ، فانتقل
بفسطاطه الى مقربة من فسطاط الحسين ثم قال لاصحابه : « من
احب منكم ان يتبعني والا فانه آخر العهد » ثم طلق زوجته ، وقال
لها : الحق باهلك ، فاني لا احب ان يصيبك بسبي شر ، ولزم
الحسين حتى قتل معه .

واتى الحسين خبر قتل مسلم بن عقيل بالعمالية ^(١) ، فقيه اعرابان
من بني اسد فسألها عن الخبر فقالا له :

« يا ابن رسول الله قلوب الناس معك وسيوفهم عليك فارجم »

واخبراه بقتل ابن عقيل

ويقول ابو مخنف عن الاعرابيين انهما قضيا حججهما ولحقا بالحسين فادر كاه ، وقد مر برجل وهم ان يسأله ، نعم تركه ، قالوا فجننا ذلك الرجل وسألناه ، فقال :

والله لم اخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل ؛ وهاني بن عروة رأيتهما يجران بارجلهما بالسوق
قالا : فليحقتا الحسين واخبرناه فجعل يقول : انا لله وانا اليه راجعون ، مراراً

عندئذ قال للحسين بعض اصحابه : « نشدك الله الا رجعت من مكانك فانه ليس لك بالكوفة ناصر بل تتخوف عليك ان يكونوا عليك »

فوثب بنو عقيل وقالوا : « والله لا نبرح حتى ندرك ثأرنا والا نذوق ما ذاق مسلم »

فقال الحسين : لا خير في العيش بعد هؤلاء

فقال له بعض اصحابه : انك والله ما انت مثل مسلم بن عقيل ونو قدمت الكوفة لكان الناس اليك اسرع !!

ثم ارتحلوا وكان لا يمر بماء الا اتبعه من عليه حتى انتهى الى (زبالة) فأتاه خبر مقتل اخيه من الرضاة عبد الله بن يقطر وكان سرحه الى مسلم بن عقيل من الطريق وهو لا يعلم بقتله ، فاخذته

خيل الحصين فسيره من القادسية الى ابن زياد ، فقال له : اصعد فوق
القصر والعن الكذاب ابن الكذاب ثم انزل حتى ارى فيك رأبي ،
فصعد واعلم الناس بقدم الحسين ولعن ابن زياد واباه ، فالتقاء من
القصر فتكسرت عظامه

واتاه رجل يقال له عبد المؤمن بن عمير اللخمي فذبحه ، فعيب
ذلك عليه ، فقال انما اردت ان اريجه وقد رأيت به رمقاً

وامستقبل الحسين بزبالة رسولا محمد بن الاشعث وعمر بن سعيد
فاخبراه الخبر وبلغاه الرسالة ، وما كان من امر مسلم بن عقيل
وخذلان اهل الكوفة اياه بعد ان بايعوه ، فاستيقن الحسين صحة
الخبر ، واقطعه قتل مسلم وهاني ، وقال كل ما حلم نازل ، وعند الله
نحتسب انفسنا ، وفساد امتنا ، ثم التفت الى من معه وقال :

— قد خذلتنا شيعتنا فمن احب منكم ان ينصرف فلينصرف

ليس عليه منا ذمام

ففرقوا بينا وشمالاً حتى بقي في اصحابه الذين جاءوا معه من
المدينة ، ونفر يسير ممن انضموا اليه ، وانما فعل ذلك لانه علم ان
الذين انبعوه انما انبعوه وهم يظنون انه باقي بلداً قد استقامت له
طاعة اهله ، فاراد ان يعلموا على ما يقدمون عليه ، حتى لا يصحبه
الا من يريد مؤاسانه والموت معه

ثم سار حتى نزل بطن العقبة فلقيه رجل من بني عكرمة
فسلم عليه واخبره بتوطيد ابن ذباد الخيل ما بين القادسية الى العذيب
رصدآله ، ولقي الاعراب فاخبروه انهم لا يستطيعون ان يلهجوا ولا
ان يخرجوا .

وكان غرض ابن زياد من ربط الطرق التي تؤدى الى الكوفة
بخياله ورجاله ان لا بدع الحسين بصل اليها ، دون ان ندمه رجلاه
وتقف في وجهه خيله ، ولعله كان ينبغي بذلك ان يمنم عن اهل
الكوفة اخبار الحسين وحر كات جماعته مخافة احتياجهم وثورتهم ،
مع عله بخمولهم وانكسارهم وضعف انفسهم ، ولكنها السياسة ،
والدهاء والحيلة لا تسح بان تؤتى من خلفها وتطعن من ظهرها
وقد اظهر ابن زياد في ما انصرف اليه من تنظيم اموره ، وتثبيت
شؤونه ، وحشد مسالحه ورجاله ، انه كان يريد القضاء على الحسين
وشيعته قبل ان يعلم اهل الكوفة وغير اهل الكوفة بشيء من
خبره ، وامر من اموره ، وفي ذلك برهان على رغبته في القتل
وسفك الدماء دون ما سبب ظاهر ، ومصلحة قاهرة ، لان الحسين
لم يكن لديه من القوة والرجال ما يخشى ابن زياد معهم ثوزة او
اضطراباً ، و كان بطوقه لو اراد سلاماً ، ولم يبلغ خصومة وحرباً
ان يأخذ الحسين رضي الله عنه الى الكوفة ويبعث الى يزيد بالخبر

يطلب منه الرأي والمشورة ، ولكنه ارادها مذبحة مفجعة ، لا
 مبرر لها ولا فائدة منها ، الا ما نعتقده من اتفاقه ويزيد على ذلك
 ليخلو الجو عندئذ ليزيد وامثال يزيد ، وينتهي بمقتل الحسين من
 بطالب بالخلافة ، ويدعو الى السلطان والملك



ولما ترأى الجيـشان

بث ابن زياد سراياه ، في طول العراق وعرضه ، وفي كل
سبيل بضرب في الارض ؛ وبتصل بالكوفة ، او بتتهي اليها ، وقد
القي في روعه ان الحسين ولا بد واقع على احد سراياه ، وانه لن
يفلت منه هذه المرة كما افلت من عامل المدينة وامير مكة

وقد طوى الحسين رضي الله عنه واهله الاديم بين مكة
والكوفة في شيء كثير من التعب والمشقة ، فقد كانت الارض
مضطربة السبل ، متعوجة الطرق ، غير مستقيمة الخطط ، وكانت
الى ذلك كله منحدره منحرفة مليئة بالاغوار والانجاد والرمال ،
وكان الحر مدياً ، والهواء فاتراً لاذعاً قوباً ، فلما وصل الحسين
وجماعته الى شراف بات ليلته فيها - وشراف هذه على حدود
العراق - ثم سار منها فلما انتصف النهار واشتد الحر ، ترأى له
خيل ابن زياد ، فقال الحسين :

- اما هنا مكان يلجأ اليه ، او شرف نجعله خلف ظهورنا ،

ونستقبل القوم من وجه واحد

فقال زهير بن القين: بلي هذا جبل (ذي حسم) الى جنبك تميل

اليه عن يسارك فان سبقت القوم اليه فهو كما تريد .

قال اليه فما كان بأسرع من ان طلعت الخيل ، وعدلوا اليهم
فسبقهم الحسين الى الجبل ، ونزل وجعله وراء ظهره ، وأمر بابنته
فضربت .

وجاء القوم وهم الف فارس مع الحر بن يزيد التميمي اليربوعي ،
وهم مقدمة الجيش الذي بعثه ابن زياد فوقفوا قبالة الحسين واصحابه
في بحر الظهير ، والحسين واصحابه معتمون متقلدو سيوفهم ؛ فقال
الحسين لاصحابه وفتيانه « اسقوا القوم ورشقوا الخيل ترشيقاً »
ففعلوا

وكان مجيء الحر من القادسية ارساه الحصين بن نمير التميمي ،
فلما شرب الحر ومن معه ونفمرت خيلهم جلسوا جميعاً في ظل خيولهم
واعنتها في ايديهم حتى حضرت صلاة الظهر ، فأمر الحسين مؤذنه
الحجاج بن مسروق الجعفي بالأذان فأذن ، وخرج الحسين اليهم في
ازار ورداء ونعلين وخطب الناس من اصحابه واعدائه ، فحمد الله
وأثنى عليه ثم قال :

« ايها الناس لم آتكم حتى اتني كتبكم ورسلكم ؛ ان
اقدم علينا فليس لنا امام لعل الله يجمعنا بك على الهدى والحق ، وقد
جئتكم فان نعطوني ما اطمئن اليه من عهدكم ومواثيقكم اقدم
مصركم ، وان لم تفعلوا وكنتم لقدمي كارهين ، انصرفت عنكم

الى المكان الذي اقبلت منه »

فسكتوا ولم يتكلم احد منهم بكلمة .

فقال للمؤذن : اقم ، فاقام الصلاة ، وقال الحسين للحر :

— أترى ان نصلي انت باصحابك واصلي باصحابي

فقال الحر : بل نصلي جميعاً بصلاتك

فصلى بهم الحسين الظهر ثم دخل واجتمع اليه اصحابه وانصرف

الحر الى مكانه

فلما جاء وقت العصر نادى مؤذن الحسين ، ثم تقدم الحسين

وصلى بالفريقين ثم استقبلهم بوجهه فحمد الله واثنى عليه وقال :

— اما بعد ايها الناس فانكم ان تتقوا وتعرفوا الحق لاهله

يكن ارضي الله ، ونحن اهل البيت اولى بولاية هذا الامر من

هوؤلاء المدعين ما ليس لهم ، والسائرين فيكم بالجور والعدوان

فان انتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما انتني به

كتبكم ورسلكم انصرف عنكم

فقال الحر بن يزيد : انا والله ما ندري ما هذه الكتب

والرسل التي نذكر

فاتي الحسين بخرجين مملوءين صحفاً فنثرها بين ايدي الحر

واصحابه .

فقال الحر : اننا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا اليك ، وقد

أمرنا انا اذا لقيناك ان لا نفارقك حتى تقدمك الكوفة على ،
عبيد الله بن زياد

فقال الحسين : الموت ادنى اليك من ذلك ، ثم امر اصحابه
فركبوا لينصرفوا نحو الحجاز ، فمنعهم الحر من ذلك
فقال له الحسين : ما الذي تريد ؟

قال الحر : اريد ان انطلق بك الى الامير عبد الله بن زياد

قال الحسين اذن والله لا اتبعك

قال الحر : اذن والله لا ادعك

فترادا الكلام وكثر الجدل بينهما ، فقال له الحر « اني لم
اوامر بقتالك ، وانما امرت ان لا افارقك حتى اكتب الى الامير
عبد الله فلعن الله ان يأتي بامر يرزقني فيه العافية ، ولا ابتلي بشيء
من امرك »

فقام الحسين يخطبهم فحمد الله واثني عليه ، ثم قال
« ايها الناس ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى
سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله فاكثرا لعهد الله مخالفاً لسنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغير
ما عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله ان يدخله مدخله ، الا وان
هو لاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن واطفروا
الفساد ، وعطلوا الحدود واستأثروا بالني » ، واحلوا حرام الله ،

وحرموا حلاله، وانا احق من غيري وقد اتني كتبكم ورسلكم
 بيتكم وانكم لا تسلموني ولا تخذلوني ، فان بقيتم على بيعتكم
 نصيبوا رشدكم ، وانا الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، نفسي مع انفسكم ، واهلي مع اهلكم ، فلکم
 في اسوة، وان لم تفعلوا ونقضتم عهدي ، وخلعتم بيعتي ، فلعمري
 ما هي لكم بنكير، والمغرور من اغتر بكم فحظكم اخطاتم
 ونصيبكم ضيعتم ، ومن نكث فانما ينكث على نفسه وسيغني الله
 عنكم والسلام»

فقال له الحر : اني اذكرك الله في نفسك فاني اشهد لئن
 قاتلت لتقتلن

فقال له الحسين : ابا الموت تخوفني وهل بعدونكم الخطاب ان
 تقتلوني وما ادري ما اقول لك ولكنني اقول كما قال اخو الاوس
 لابن عمه وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخوفه
 ابن عمه ، وقال له : ابن تذهب فانك مقتول ، فاجابه

سامضي وما بالموت عار على الفتي اذا ما نوى خيراً وجاهد مسلماً
 وآسى الرجال الصالحين بنفسه وخالف مشوراً وفارق مجرماً^(١)
 فان عشت لم اندم وان مت لم الم كفى بك ذلاً ان تعيش وترغماً
 فلما سمع ذلك الحر تنحى عنه، فكان يسير باصحابه ناحية حتى

انتهوا الى عذيب الهجانات و كان به هجائن النعمان نرعى هناك فنسب اليها ، فاذا هم باربعة نفر اقبلوا من الكوفة على رواحلهم ينجبون فرساً لتافع بن هلال ، ومعههم دليلهم طرماح بن عدي ؛ فانهوا الى الحسين فاقبل عليهم الحر وقال :

— ان هؤلاء النفر من اهل الكوفة وانا حابسهم او رادهم فقال الحسين : لا منعهم مما امنع منه نفسي انما هؤلاء انصاري وهم بمنزلة من جاء معي فانت بقيت على ما كان بيني وبينك والا ناجزتك !

فكف الحر عنهم ، فقال لهم الحسين : اخبروني خبر الناس خلفكم .

فقال له مجمع بن عبيد الله العامري وهو احدهم : اما اشرف الناس فقد اعظمت رشوتهم وملئت غرائرهم ، فهم جماعة واحدة عليك واما سائر الناس بعدهم فان قلوبهم تهوى اليك ، وسيوفهم غدا مشهورة عليك

وسألهم عن رسوله قيس بن مسهر فاخبروه بقتله وما كان منه ، فترقرقت عيناه بالدموع ، ثم قرأ :

« فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا »

وقال : « اللهم اجعل لنا ولهم الجنة ، واجمع بيننا وبينهم في

مستقر رحمتك وغائب مذخور ثوابك »

ثم حدثه الطرماح بن عدي بان ابن زياد قد ارسل له قوة كبيرة ، وسأله ان ينصرف من مكانه الى مكان آخر يمنع به عن خصمه .

فقال له الحسين : جزاك الله وقومك خيراً ، انه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لا نقدر معه على الانصراف ، ولا ندري علام نتصرف بنا وبهم الامور

ثم سار الحسين حتى بلغ قصر بني مقاتل ، فنزل الفريقان جميعاً ، وكل فريق منهما على غلوة من الآخر فرأى الحسين فسطاطاً مضروباً ، فقال : لمن هذا ؟

فقبل : لعبد الله بن الحر الجعفي

فقال : ادعوه الي ، فلما اتاه الرسول قال :

ما خرجت من الكوفة الا لكثرة من رأبته خرج لمحاربته ، وخذلان شيعته وكرهية ان يدخلها الحسين

وجاءه فسلم عليه ، فدعاه الى نصره ، فقال عبيد الله :

والله اني لاعلم ان من شابعك كان السعيد في الآخرة ، ولكن ما عسى ان اغني عنك

فقال الحسين فان لم تكن تنصروننا فائق ان تكون ممن

نقاتلنا .

فقال ابن الحر : اما هذا فلا يكون ابداً .

ولما كان في آخر الليل امر الحسين بالرحيل وسار من قصر بني مقاتل ، ولما طلع الفجر نزل وصلى باصحابه ثم ركب واخذ بتياسر بهم وكلم ارااد ان يميل نحو البادية منه الحر بن يزيد ورده واصحابه نحو الكوفة حتى انتهى الحسين الى نينوى فنزل بها ، واذا راكب على نجيب ، عليه السلاح متنكب قوساً مقبل عليهم فوقفوا ينتظرونه ، ولما انتهى اليهم سلم على الحر واصحابه ، ولم يسلم على الحسين ، ودفع الى الحر كتاباً من ابن زياد ، واذا فيه :

« اما بعد فشدد على الحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولى فلا تنزله الا بالعراء ، في غير حصن ، وعلى غير ماء ، وقد امرت رسولى ان يلزمك فلا يفارقك حتى يأتيني بانفاذك امرى والسلام »

فلما قرأ الكتاب قال هذا كتاب الامير عبيدالله بأمرى ان اشدد بكم في المكان الذي يأتيني فيه كتابه ، وقد امر رسولاه ان لا يفارقني حتى انفذ امره

وراح الحر يأخذهم بالنزول على غير ماء ولا في قرية ، فقالوا ادعنا في نينوى او تنزل في غيرها

فقال : لا استطيع ، هذا الرجل قد بعث عيناً علي فقال زهير بن القين للحسين : انه لا يكون والله بعد ماترون

الا ما هو اشد منه ، يا ابن رسول الله ان قتال هؤلاء اهلون علينا من قتال ما يأتينا بعدهم ، فلعمري يأتينا بعدهم ما لا قبل لنا به فاهلنا
تاجز هؤلاء

فقال الحسين : اني اكره ان ابدأهم بالقتال
فقال له زهير : سر بنا الى هذه القرية حتى ننزلها فانها حصينة
وهي على شاطئ الفرات فان منعونا قاتلناهم
فقال الحسين : ما هي ، قال العقر قال : اللهم اني اعوذ بك
من العقر

ثم سار وسار الحر قليلاً حتى اتوا مكاناً قريباً من الفرات
اسمه كربلاء ، فوقف الحر واصحابه امام الحسين ومن معه ومنعوه
عن المسير

فنزل الحسين بهذا المكان في يوم الخميس ثاني محرم سنة
احدى وستين للهجرة .

ولما كان اليوم الثاني من نزول الحسين كربلاء ، قدم عمر بن
سعد بن ابي وقاص من الكوفة في اربعة آلاف ارسله ابن زياد
بهذا الجيش لمحاربة الحسين ومقاتلته ، وكان ابن زياد قد ولاء على
الديلم ، فلما كانت امر الحسين ندبه لقتاله فاستعفاه فابى ، فوافى
الحسين برجاله وانضم اليه الحر بن يزيد فيمن معه ، وامر عمر بن سعد

عروة بن قيس الاحمسي ان يأتي الحسين ، فاستحي ان يأتيه ،
 فعرض ذلك على الرومساء الذين كاتبوه ، فكلهم ابي ذلك وكرهه
 فارسل عمر قرّة بن سفيان الحنظلي يسأله ما الذي جاء به
 فقال الحسين : كتب الي اهل مصركم هذا ان اقدم عليهم ،
 فاما اذا كرهوني فاني انصرف عنكم الى مكة
 فكتب عمر الى ابن زياد يعرفه ذلك ، فلما قرأ ابن زياد
 الكتاب قال :

الآن اذ علقت مخالبتنا به ، يرجو النجاة ولات حين مناص
 ثم كتب الى عمر يأمره ان يعرض على الحسين يعة يزيد ،
 فاذا فعل ، رأينا رأينا ، وان يمنعه ومن معه من الماء ، كما فعل بامير
 المؤمنين عثمان بن عفان

فارسل عمر بن سعد عمرو بن الحجاج في خمسمائة فارس ،
 فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين واصحابه وبين الماء ان يستقوا
 منه فطرة وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة ايام ، ونادى عبد الله بن
 ابي الحصين الازدي :

- يا حسين ، اما تنظر الى الماء والله لا تذوقون منه فطرة
 واحدة حتى تموتوا عطشاً

ولما اشتد العطش على الحسين واصحابه امر اخاه العباس بن علي
 فصار في عشرين راجلاً يحملون القرب وثلاثين فارساً ، فدنا من

الماء فقاتلوا عليه ، وملأوا القرب وعادوا

ثم بعث الحسين الى عمر بن سعد عمرو بن قرظة بن كعب
الانصاري : ان التقني الليلة بين عسكري وعسكريك
فخرج اليه عمر واجتمعا ليلاً فتناجيا طويلاً ثم انصرف كل
واحد منهما الى عسكريه ، ولم يدر احد ما قالوا .

وقال عقبة بن سميان : صحبت الحسين من المدينة الى مكة
ومن مكة الى العراق ولم افارقه حتى قتل ، وسمعت جميع مخاطباته
الى يوم قتله فوالله ما زاد علي ان قال لهم
-- دعوني ارجع الى المكان الذي اقبلت منه او دعوني اذهب
في هذه الارض العريضة حتى ننظر الى ما يصير اليه امر الناس ،
فلم يفعلوا

ثم التقى الحسين وعمر بن سعد مراراً ثلاثاً او رابعاً ، فكتب
عمر بن سعد الله الى عبيد الله بن زياد يقول :

« اما بعد فان الله اطفى الثائرة وجمع الكلمة وقدا عطاني الحسين
ان يرجع الى المكان الذي اقبل منه او ان تسيره الى اي ثغر من
الثغور شئنا ، او ان يأتي بزبد امير المؤمنين فيضع يده في يده ،
وفي هذا لكم رضي ، ونلامة صلاح »

فلما قرأ ابن زياد الكتاب ، قال هذا كتاب رجل ناصح لا ميره ،
مشفق على قومه ، نعم قد قبلت

فقام اليه شمر بن ذي الجوشن ، فقال : اتقبل هذا منه وقد
 نزل بارضك والى جنبك ؛ والله لئن رحل من بلادك ولم يضع يده
 في يدك ليكونن اولى بالقوة والعزة ، ولتكونن اولى بالضعف
 والعجز ، فلا تعطه هذه المنزلة ، ولكن لينزل على حكمك هو
 واصحابه فان عقت كنت ولي العقوبة ، وان عفوت كان ذلك
 لك ، والله لقد بلغني ان الحسين وعمر يتحدثان عامة الليل بين
 العسكرين

فقال ابن زياد : نعم ما رأيت ، اخرج بهذا الكتاب الى عمر
 فليعرض على الحسين واصحابه النزول على حكمي فان فعلوا ، فليبعث
 بهم الي سلماء وان ابوا فليقاتلهم ، وان فعل فاسمعه له واطع ، وان
 ابى فانت الامر عليه وعلى الناس ، واضرب عنقه وابعث الي برأسه ،
 وكتب معه الى عمر بن سعد

« اما بعد فاني لم ابعثك الى الحسين لتكف عنه ، ولا اتقعد
 له عندى شافعاً ، انظر فان نزل الحسين واصحابه على الحكم ،
 واستسلموا فابعث بهم الي سلماء ، وان ابوا فازحف اليهم حتى تقتلهم
 وتمثل بهم ، فانهم لذلك مستحقون فان قتل الحسين فاوطي الخيل
 صدره وظهره فانه عاق شاق قاطع ظلوم ، فان انت مضيت لامرنا
 جزيناك جزاء السامع المطيع ، وان انت ايت فاعتزل جندنا واخل
 بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر والسلام »

حمل شمر كتاب ابن زياد الى عمر فقرأه وقال له :

— مالك وبلك فبح الله ما جئت به ، والله اني لاظنك انت
ثنيته ان يقبل ما كنت كتبت اليه له ؛ افسدت علينا امراً كنا
رجونا ان يصلح ، لا يستسلم والله الحسين ابداً ، ان نفسا اية لبن
جنبه .

فقال شمر : اخبرني ما انت صانع ، اتمضي لامر اميرك وتقاتل
عدوه والا فحل بيني وبين الجند قال ؛ لا وانا اتولى ذلك وكن انت
على الرجالة .

ونفض عمر بن سعد الى الحسين عشية الخميس ليلة الجمعة
لتسع ليال مضين من المحرم ، وجاء شمر فوقف على اصحاب الحسين
ودعا العباس بن علي واخوته جعفرأ وعبد الله وعثمان فخرجوا اليه ،
انتم يا بني اختي آمنون

فقالوا له : لعنك ولعن امانك اتوئمننا وابن رسول الله لا امان
له ، لا حاجة لنا في امانكم

ثم ركب عمر والناس معه والحسين جالس امام بيته محبباً
بسيفه اذ خفق برأسه على ركبته ، وسمعت اخته زينب الضجة
فدنت منه وايقظته فرفع رأسه وقال له اخوه العباس يا اخي : اتاك
القوم ، فقال : اركب بنفسي فقال : بل اروح انا فاتاهم في نحو
عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر فسألمهم

فقالوا : جاء امر الامير ان تعرض عليكم ان تنزلوا على حكمه او
تتاجزكم

قال : فلا تعجلوا حتى ارجع الى ابي عبد الله ، فاعرض عليه
ماذ كنتم .

فوقفوا ورجع العباس اليه بالخبر ، ووقف اصحابه يخاطبون
القوم ويذكرونهم الله ، فلما اخبره العباس بقولهم ، قال له الحسين :
— ارجع اليهم ، فان استطعت ان تؤخرهم الى غد لعلنا نصلي لربنا
هذه الليلة وندعوه ونستغفره ، فهو يعلم اني احب الصلاة له ،
وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار ، واراد الحسين كذلك ان
يوصي اهله . وقد ادرك انه مفارقهم عما قريب

فرجع اليهم العباس وقال لهم : انصرفوا عنا العشية حتى ننظر
في هذا الامر ، فاذا اصبحتنا التقينا ان شاء الله ، فاما رضىنا الامر
واما رددناه .

فقال عمر بن سعد : ما ترى يا شمر ؟

قال : انت الامير

فاقبل على الناس فقال : ما ترون ؟

فقال له عمر بن الحجاج الزبيدي : سبحان الله ، والله لو كان

من الديلم ثم سألكم هذه المسألة لكان يذبني ان نجيبوه

وقال قيس بن الاشعث بن قيس : اجبه اعمرى ليصبحنك
بالقنال غدوة .

فقال : لو اعلم انه يفعل ما اخرته العشية
ثم رجع العباس ومعه رسول عمر بن سعد فقال انا اجلناكم الى
غد وانصرف عنهم

فجمع الحسين اصحابه بعد رجوع عمر في اول الليل ،
فقال :

«انني على الله احسن الشاء واحمده على السراء والضراء ، اللهم
اني احمدك على ان اكرمتنا بالنبوة ، وجعلت لنا اسماعاً وابصاراً
وافئدة وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين فاجعلنا لك من الشياكرين ،
اما بعد فاني لا اعلم اصحاباً اوفى ولا خيراً من اصحابي ، ولا اهل
بيت ابر ولا اوصل من اهل بيتي ، فجزاكم الله جميعاً خيراً ، فقد
بررتم وعاونتم ، والقوم لا يريدون غيري احداً واني لاظن بومنا
من هؤلاء الاعداء غداً ، واني قد اذنت لكم جميعاً فانطلقوا في
حل لبس عابكم فني دمام ؛ هذا الليل قد غشيكم فتفرقوا في
سواده وانجوا بانفسكم

فقال له اخوته وابناؤه وبنو اخيه وابنا عبد الله بن جعفر
لم نفعل هذا لتبقى بعدك لا ارانا الله ذلك ابداً ، بدأهم بذلك العباس

ابن علي واتبعة الجماعة فتكلموا بمثله ، وقالوا :

- معاذ الله ، وما نقول للناس اذا رجعنا اليهم ؟ نقول تركنا سيدنا وبني عمومنا خير الاعمام ، ولم نرم معهم بسهم ، ولم نطعن معهم برمح ، ولم نضرب بسيف ، ولا ندرى ما صنعوا ، لا والله لا نفعل نفديك بانفسنا واموالنا واهلينا ونقاتل معك حتى نرد موردك ، فقبح الله العيش بعدك

وقام اليه مسلم بن عوسجة الاسدي فقال : انحن نتخلى عنك ولم نعذر الى الله في اداء حقك ، اما والله لا افارقك حتى اكسر في صدورهم رمحي واضربهم بسيفي ما ثبت قائمه يدي ، ولو لم يكن معي سلاحي لقدفتمهم بالحجارة دونك ، حتى اموت معك وتكلم اصحابه بنحو هذا

وكان علي بن الحسين تلك العشية مريضاً تمرضه عمته زينب فسمع اباها وهو في خباء له وعنده جوين مولى ابي ذر الغفاري ، يعالج سيفه ويصلحه والحسين يقول :

بادهر اف لك من خليل كم لك بالاشراق والاصيل
من صاحب او طالب قتيل والدهر لا يقنع بالبديل
وانما الامر الى الجليل وكل حي سالك سبيل

فاعادها مرتين او ثلاثاً فادرك ما اعتزمه والده ولزم السكوت ،

وسمعه زينب بنت علي اخته فلم تملك نفسها ان وثبت تجر ثوبها
حتى انتهت اليه ونادت :

— واككلاه ليت الموت اعدمني الحياة اليوم ، مانت امي
فاطمة ، وعلي ابي ، وحسن اخي ، يا خليفة الماضي ، وثمان
الباقي .

فنظر اليها الحسين وقال : « يا اخية لا يذهبن حلمك الشيطان
ثم قال : لو ترك القطا لنام »

فقات : واويلتاه افتغصبك نفسك اغتصابا فذلك اقرح لقلبي
واشد على نفسي واطول لحزني ، وخرت مغشياً عليها .
فقام اليها الحسين فصب الماء على وجهها ، وقال :

— اتقي الله وتعزي بعزاء الله ، واعلمي ان اهل الارض
يموتون واهل السماء لا يبقون ، وان كل شيء هالك الا وجه الله ،
ابي خير مني ، وامي خير مني ، واخي خير مني ، ولي ولكل مسلم
برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة ... فعزاها بهذا ونحوه ،
وقال لها :

— يا اخية اني اقسم عليك لا تشقي علي جيئاً ، ولا تخمشي
وجهاً ، ولا تدعي علي بالويل والثبور ، ان انا هلكت

ثم خرج الى اصحابه فامرهم ان يقربوا بعض بيوتهم من بعض
وان يدخلوا الاطناب بعضها في بعض ، وبكونوا بين يدي البيوت

فَيَسْتَقْبِلُونَ الْقَوْمَ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ ، وَالْبُيُوتَ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ شِمَالِهِمْ
وَمِنْ وَرَائِهِمْ ، وَرَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ فَقَامَ اللَّيْلَ كُلَّهُ بِصَلَى وَاسْتِغْفَرٍ ،
وَقَامَ أَصْحَابُهُ كَذَلِكَ يَصَلُونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَيَدْعُونَ ، وَخِيُولَ حَرَسِ
عَدُوِّهِمْ نَدُورَ مَنْ وَرَائِهِمْ ، تَحْرُسُهُمْ حَتَّى لَا يَفِرَ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، وَكَأَنَّمَا
كَانَ يُرِيدُ الْقَوْمُ قَتْلَهُمْ كُلَّهُمْ ، وَالْقَضَاءُ عَلَيْهِمْ جَمِيعُهُمْ



- ١١ -

كرب - وبوء !

اصبحت شمس الجمعة لعشر خلون من محرم محمرة الاطراف ،
 دامية المعالم ، واصبح الحسين فعي اصحابه بعد صلاة الصبح ، وكانوا
 يعدون اثنان وثلاثون فارساً واربعون راجلاً ، فجعل زهير بن القين
 في ميمنة اصحابه ، وحبيب بن مظاهر في ميسرتهم ، واعطى رابته
 العباس اخاه ، وجعل البيوت في ظهور اصحابه ، وامر بحطب وقصب
 فالقي في مكان منخفض من ورائهم بما يشبه الساقية ، واضرم فيها
 النار حتى لا يوثقوا في اصحابه من خلفهم

وعسى عمر بن سعد رجاله فكان على ميمنته عمر بن الحجاج
 الزبيدي ، وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن ، وعلى الخيل عروة بن
 قيس الاحسي ، وعلى الرجالة شبت بن ربيعي ، واعطى الراية
 دريداً مولاه .

ووقف الحسين عليه السلام في جماعته وصفوته خطيباً فقال :
 بعد حمد الله والثناء عليه « ايها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى
 اعظكم بما يجب لكم علي وحتى اعذر اليكم ، فان اعطيتكموني
 النصف كنتم بذلك اسعد ، ولم يكن لكم علي سبيل ، وان لم تقبلوا

مني العذر فاجمعوا امركم وشركاكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة
ثم اقصوا ولا تنظرون ، ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو
يتولى الصالحين

فلما سمع اخوانه وبناته كلامه ، بكين وصحن وارنفت اصواتهن
فارسل اليهن اخاه العباس وابنه عليا ليسكتاهن ، وقال وكأنه يحاور
نفسه : لعمرى ليكثرن بكاءهن ، ولعله كان ينظر الى ما خلف
ستر الغيب فيرى انه صريح وانه مقتول .

فلما سكتن قال : اما بعد فانسبوني وانظروا من انا ثم راجعوا
انفسكم فعاتبوها ، وانظروا هل يصلح وبجل لكم قتلي وانتهاك
حرمتي ، اأنت ابن بنت نبيكم وابن ابن عمه ، واول المؤمنين بالله
والمصدق لرسوله ، أوليس حمزة سيد الشهداء عم ابي ، أوليس جعفر
الشهيد الطيار في الجنة عمي ، اولم يبلغكم قول مستفيض ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لي ولاخى هذان سيدا شباب اهل الجنة
فان صدقتموني فيما اقول وهو الحق ، والله ما نعدت كذبا منذ علمت
ان الله يمقت عليه اهله ، وان كذبتموني فان فيكم من اذا سألتموه
عن ذلك اخبركم ، اما في هذا حاجز يحجزكم عن سفك دمي ??
وتكلم بعض رجال الحسين رضي الله عنه بمثل ذلك ، ولكن
شمر بن ذي الجوشن وغيره من رجال ابن زياد كانوا قد اجمعوا
امرهم على محاربة الحسين او بنزل على حكم ابن زياد ، وابوا على

الحسين ما طلبه منهم من تسييره الى يزيد في دمشق ، ذلك ان ابن زياد كان يعلم ان يزيداً ليس يستطيع الى الحسين سبيلاً في العاصمة ، وانه ولا بد مضطر الى حفظ حقه ، والعناية به واكرامه ، وكان الى ذلك يعلم ان هذه فرصة لن نسمح له الايام بمثلها ، من حمل حفيد رسول الله على النزول تحت حكمه ، وهو من يعلم الناس جميعاً اضطراب نسب ، وانقضاء رحم ، وسوء خلق ، وما كان لمثل الحسين ان ينزل على حكم هذا ، فثارت عند ذلك مروءة الحر ابن يزيد الذي راح يجبس الحسين وجماعته عن الرجوع الى مكة اول الامر ، فتقدم نحو عمر بن سعد وقال له :

— اصاحك الله ، امقائل انت هذا الرجل ؟

فقال له : ايه والله قتالاً ابصره ان نسقط الرؤوس ونطبخ الايدي .

قال : انما اكرم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضا

فقال عمر بن سعد : والله لو كان الامر الي لفعلت ؛ ولكن اميرك قد ابى ذلك

فاقبل بدنو نحو الحسين قليلاً قليلاً ، واخذنه رعدة ، فقال له رجل من قومه :

— والله ان امرك لمربب ما رأيت منك قط مثل ما اراه الآن

ولو قيل من اشجع اهل الكوفة لما عدوتك .
فقال له : اني اخبر نفسي بين الجنة والنار ولا اختار على الجنة
شيئاً ولو قطعت واحرقت

ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين وقال له :
— جعلني الله فداك يا ابن رسول الله ، انا صاحبك الذي
حبستك عن الرجوع وسائرنا في الطريق وجمعنا بك في هذا
المكان ، والله ما ظننت ان القوم يردون عليك ما عرضته عليهم ولا
يبلغون منك هذه المنزلة ابداً ، ولو علمت انهم ينتهون الى ما ارى
ما ركبت مثل الذي ركبت ، واني قد جئتك تائباً مما كان مني
الى ربي ، مواسياً لك بنفسي ، حتى اموت بين يديك ، افترى ذلك
نوبة ؟

قال : نعم بنوب الله عليك ويغفر لك .
وتقدم الحر امام اصحابه ثم قال :

— ايها القوم ألا تقبلون من الحسين خصلة من هذه الخصال
التي عرض عليكم فيعافىكم الله من حربه وقتاله ، يا اهل الكوفة
او عدتموه حتى اذا اتاكم اسلمتموه ، وزعتم انكم قاتلو انفسكم
دونه ، ثم عدوتم عليه لثقتلوه امسكتم بنفسه واحطتم به ومنعتموه
من التوجه الى بلاد الله العريضة ، فاصبح كالاسير لا يملك لنفسه
نفعاً ولا يدفع عنها ضرراً ، ومنعتموه ومن معه عن ماء الفرات

الجاري يشربه اليهود والنصارى والمجوس ، وتبخرغ فيه خنازير
السواد وكلابه ، وها هو واهله قد صرعهم العطش بشئ ما خلفتم
محمدآ في ذريته ، لا سقاكم الله يوم الظأ ؛ ان لم تتوبوا ونزعوا عما
انتم عليه

فرموه بالنبل حتى وقف امام الحسين
وتقدم عمر بن سعد براثة مع دريد ، واخذ سهما فرمى
وقال :

— اشهدوا لي اني اول من رمى

ثم رمى الناس وبرز يسار مولى زياد بن سمية وطاب البراز
فخرج اليه عبدالله بن عمير الكلبي وكان قد اتى الحسين من الكوفة
وسارت معه امرأته

فقال له : من انت ؟ فانتسب له ، فقال :

— لست اعرفك ليخرج الي زهير بن القين ، او حبيب بن
مظاهر او بربر بن خضير

فقال له الكلبي : يا ابن الفاعلة وبك رغبة عن مبارزة احد من
الناس ، ولا يخرج اليك احد الا وهو خير منك

ثم حمل عليه وضربه بسيفه حتى صرعه فاشتغل به بضربه فحمل
عليه سالم مولى بن زياد ، فلم يأبه له حتى غشيه ، وبدره بضربة فاتقاها
ابن عمير بيده اليسرى ، فاطارت اصابع كفه ، ثم مال عليه الكلبي

فضربه حتى قتله ، واخذت امرأته عموداً واقبلت نحو زوجها وهي تقول :

— فداك ابي وامي قاتل دون الطيبين ذرية محمد ، فردها نحو النساء ، فامتنعت ، وقالت :

— لن ادعك دون ان اموت معك .

فناداها الحسين وقال : جزيتم من اهل بيتي خيراً ارجعي رحمك الله فانه ليس على النساء قتال ، فرجعت

وزحف عمرو بن الحجاج في ميمنة عمر على ميمنة اصحاب الحسين ، فلما دنا منهم جثوا على الركب وشرعوا الرماح نحوهم ، فلم تقدم خيلهم على الرماح ، فذهبت الخيل لترجع فرشقهم اصحاب الحسين بالنبل ، فصرعوا منهم رجالاً وجرحوا آخرين ، وتقدم رجل منهم يقال له عبد الله بن حوزة فاقدم على عسكر الحسين فقال : افيكم الحسين ؟ فلم يجبه احد فقالها ثلاثاً ، فقالوا نعم فما حاجتك ؟ قال : يا حسين ابشر بالنار

قال له : كذبت بل اقدم على رب رحيم ، وشفيع مطاع فمن انت ؟

قال : ابن حوزة

فرفع الحسين يديه وقال : اللهم حزه الى النار

فغضب ابن حوزة واقحم فرسه في جدول بينهما فتعلقت رجله

اليسرى في الركاب وارتفعت اليمنى .

قال ابن جرير وابن الاثير: وقع رأسه في الارض وجالت به
الفرس فسقط عنها فانقطعت فخذه وساقه وقدمه وبقي جانبه الآخر
معلقاً بالركاب يضرب به كل حجر وشجر حتى مات

وكان مسروق بن وائل الحضرمي قد خرج معهم وقال : لعلني
اصيب رأس الحسين ، فاصيب به منزلة عند ابن زياد ، فلما رأى ما
صنع الله بابن حوزة ، رجع وقال : لقد رأيت من اهل هذا البيت
شيئاً لا اقاتلهم معه ابداً

ونشب القتال بالمبارزة ، فبرز جماعة من جيش عمر بن سعد
لاصحاب الحسين رضي الله عنه ، فتغلبوا عليهم ، وقتلوهم كل مقتلة ،
وابلى الحر بن يزيد وغيره من رجال الحسين بلاء حسناً ، وانما كان
النصر لهم لانهم كانوا يطلبون الموت فلا يلاقونه ، ولانهم كانوا
يستمتتون في مبارزة عدوهم ، وهم يعلمون ان الجنة تكون لهم ، واما
خصومهم فكانوا يحاربون طمعاً بالعطاء الوافر ، والربح
الآجل .

وعندئذ صاح عمرو بن الحجاج بالناس ، ان يرموا جماعة
الحسين بالحجارة وان لا يبارزوهم افراداً وحمل عمرو بن الحجاج على
الحسين من نحو الفرات فاضطربوا ساعة ، فصرع مسلم بن عوسجة

الاسدي وانصرف عمرو ، وارتفعت العبرة ومسلم ضريع ، فمشى
اليه الحسين وبه رمق فقال :

-- رحمك الله يا مسلم بن عوسجة

ودنا منه حبيب بن مظاهر وقال : عز علي بمصرءـك ابشر
بالجنة ، ولولا اني اعلم اني في اترك لاحقك ، ولا حيت ان توصيني
حتى احفظك بما انت له اهل

فقال : اوصيك بهذا رحمك الله -- واوما يده نحو الحسين --

ان تموت دونه ، فقال افعل ، ثم مات

وقاتل اصحاب الحسين رضي الله عنه قتالاً شديداً ، فكان
واحدهم ما يبارز رجلاً الا قتله ، ولا يهاجم صفّاً الا خرقه ، وجثا
يزيد بن زياد الكندي على ركبتيه بين يدي الحسين وكان رامياً
فرمى بمائة سهم ما سقط منها خمسة اسهم ؛ وكل ما رمى يقول له
الحسين :

-- اللهم سدد رميته واجعل ثوابه الجنة .

و كان يزيد هذا في من خرج مع عمر بن سعد ، فلما ردوا

شروط الامام الحسين عدل اليه فقاتل بين يديه حتى قتل

وحمل عندئذ شمر بن ذي الجوشن بميسرة جيش عمر من كل

جانب على اصحاب الحسين فقتلوا له وطاعنوه ودافع عن الحسين

الفرسان من اصحابه دفاعاً عظيماً ، وقتل الكلبي وبعد ان قتل رجلين
بعد الرجلين الاولين ، وقاتل قتالا شديداً حتى قتل

وراح اصحاب الحسين يقتحمون عدوهم ، واخذت خيلهم
وعلى صهواتها اثنان وثلاثون فارساً ، فلم تحمل على جانب من خيل
اهل الكوفة الا كشفته ، فلما رأى ذلك عروة بن قيس وهو على
خيل اهل الكوفة بعث الى عمر بن سعد فقال :

— الا ترى ما تلقى خيلي هذا اليوم من هذه العدة اليسيرة ،
ابعث اليهم الرجال والرماة .

فبعث اليهم عمر بن سعد الرماة عليهم الحصين بن نمير ، وكانوا
خمسة فقدم اليهم الحصين ان يرشقوا اصحاب الحسين بالنبل
فرشقوهم ، فلم يلبثوا ان عثروا خيولهم ، وجرحوا الرجال ، فاستقر
بالحر بن يزيد فرسه فنزل عنه وقاتلهم بسيفه ، فتكاثروا عليه
حتى قتل .

وقاتل اصحاب الحسين القوم اشد قتال حتى انتصف النهار
ورأى عمر بن سعد ان اصحابه لا يقدرول ان يأتوهم الا من
وجه واحد لاجتماع مضاريهم ، فارسل رجالاً يقوضون البيوت عن
يمينهم وشمالهم ليعيطوا بهم ، فكان الثلاثة والاربعة من اصحاب
الحسين يتخللون البيوت فيقتلون الرجل وهو يقوض وينهب

ويرمونه من قريب او بصرعونه ، فامر عمر بن سعد بالبيوت
فاحرقت ، فقال لهم الحسين :

- دعوهم فليحرقوها فانهم اذا احرقوها لا يستطيعون ان
يمجوزوا اليكم منها ، فكان كذلك

وخرجت امرأة الكلبي فجلست عند رأسه تمسح التراب عن
وجهه ، وتقول هنيئاً لك الجنة ، فامر شمر غلاماً اسمه رستم فضرب
رأسها بالعمود فمات مكانها

وحمل شمر بن ذي الجوشن حتى بلغ فسطاط الحسين ونادى
عليّ بالنار حتى احرق هذا البيت على اهله ، فخرج النساء منه ، فنهه
شيث بن ربعي فلغتهى وذهب لينصرف فحمل عليه زهير بن القين
في عشرة من اصحاب الحسين ، فارتد شمر ، واصحابه عن
البيوت وقتلوا ابا عزة من اصحاب شمر فعطف اصحاب
شمر عليهم فكثروهم ، وكانوا اذا قتل منهم الرجل او الرجلان
نابن فيهم فقتلهم واذا قتل في او ثلث لا يتبين فيهم اكثرتهم
وصلى الحسين بأصحابه الظهر صلاة الخوف ، وقاتل زهير بن
القين قتالا شديداً فحمل عليه كثير بن عبد الله الشعبي ومهاجر بن
اوس فقتلاه

وكان نافع بن هلال البجلي قد كتب اسمه على افواق نبله
وكانت مسمومة ، فقتل بها اثني عشر رجلاً سوى من جرح فاخذ

اسيراً، فاخذه شمر بن ذي الجوشن فأنى به عمر بن سعد والدم يسيل
على وجهه وهو يقول :

« لقد قتل منكم اثني عشر رجلاً سوى من جرحت ،
ولو بقيت لي عضد وساعد ما اسرتموني »

فانتضى شمر سيفه ليقتله ، فقال له نافع :

والله لو كنت من المسلمين لعظم عليك ان تلقى الله
بدمائنا ، فالحمد لله الذي جعل مآيانا على بدي شرار خلقه

فغضب شمر وقتله ، ثم حمل على اصحاب الحسين فلما رأوا انهم
قد كثروا وانهم لا يقدرّون ان يمنعوا الحسين ولا انفسهم تنافسوا
ان يقتلوا بين يديه ، فجاء عبد الله وعبد الرحمن ابنا عروة الغفاريان
اليه ، فجعلا يقاثلان بين يديه حتى قتلا

ثم قام حنظلة بن سعد الشامي بين بدي الحسين فنادى : يا اهل
الكوفة ، اني اخاف عليكم يوم التناد ، لا تقتلوا حسيناً ، فيستحكم
الله بعذاب ، وقد خاب من افترى ، ثم تقدم فقاتل حتى قتل
وتقدم الفتيان الجابريان سيف بن الحارث بن سريم ، ومالك
ابن عبد بن سريم ، وهم ابنا عم واخوان لأُم ، فودعا الحسين وقاٲلا
حتى قتلا

وانى عابس بن ابي شبيب الشاكري وشوذب مولى شاكر
الى الحسين فسما عليه وتقدما فقاتلا ، فقتل شوذب ، واما عابس

فطلب البراز فتحماماه الناس لشجاعته

فقال لهم عمر : ارموه بالحجارة

فرموه من كل جانب ، فلما رأى ذلك القى درعه
ومغفره ، وحمل على الناس فهزمهم بين يديه ثم رجعوا عليه
وقتلوه

ولما رأى الضحاك بن عبد الله المشرقي ان اصحاب
الحسين قد اصابوا ولم يبق معه غير اثنين منهم ، جاء الى الحسين
وقال :

— يا ابن رسول الله قد علمت اني قلت لك اني مقاتل عنك
ما رأيت مقاتلاً فاذا لم ار مقاتلاً ، فاننا في حل من الانصراف
فقال له الحسين : صدقت ، وكيف لك بالنجاء ؟ ان قدرت
عليه ، فانت في حل .

وكان ادخل فرسه فسطاطاً بين البيوت ، اذ كانت خيل
اصحاب الحسين تعقر ، فقاتل راجلاً وقتل رجلين ، وقطع
بد آخر .

فلما اذن له الحسين ، استخرج الفرس من الفسطاط واستوى
على متنها وحمل على عرض القوم فانرجوا له ونبعه منهم خمسة عشر
رجلاً فقاتلهم

وبقي من اصحاب الحسين سويد بن عمر بن ابي المطاع
 وبشير بن عمرو الحضرمي فقتلوا حتى قتل
 وكان سويد بن عمرو آخر من قتل مع الحسين من اصحابه ،
 فلم يبق معه الا اهل بيته خاصة وهم عدد قليل .



- ١٢ -

شهيد في العراق

وكان النهار قد انتصف او كاد ، وقد تفانى انصار الحسين في القتال دونه ، والدفاع عنه ، فصرعوا واحداً بعد واحد ، واستشهدوا شهيداً بعد شهيد ، وقد تخيروا امنيتهم وتسابقوا اليها ، وكلهم مدرك ان الحسين شهيد ، وانه مقتول ، فكان واحدهم يخشى ان يقع القضاء وهو حي ، فيقتحم صفوف الخصوم ، يتخطفهم بسيفه ويتخطفونه بسبوفهم فيسجى في ساحة القتال شهيداً ، باسم الثغر ، مطمئن القلب ، ضاحك الوجه ، ان فدى الحسين بنفسه ، ووقاه بروحه ، ورد عنه كيد خصومه ، ولو الى حين .

فلما استشهد اصحاب الحسين الا اقلهم ، برز شباب بني هاشم بدورهم ، يدافعون عن والدم وعمهم وابن عمهم ونسبهم ، بقلوبهم وصدورهم ، وكان علي الاصغر بن الحسين رضي الله عنهما ، من اصبح الناس وجهاً ، واكملهم ادباً ، فتقدم للقتال قبل غيره ، وهو ما يزال في التاسعة عشرة من عمره ، فشد على الجيش وهو يقول :

انا علي بن الحسين بن علي نحن ورب البيت اولى بالنبي
تالله لا يحكم فينا ابن الدعي

فعل ذلك مراراً ، يحمل فيرند من امامه من شدة حملته ، حتي
صدمه مرة بن منقذ العبدى فطعنه فصرعه ، وقطعه القوم بسبوفهم ،
فلما رآه الحسين قال :

— قتل الله قوماً قتلوك بابني ، ما اجرأهم على الله وعلى انتهاك
حرمة الرسول ، على الدنيا بعدك العفاء .

واقبل الحسين الى ابنه ، واقبل فتياه اليه ، فقال احملوا اخاكم
فحملوه من مكانه حتى وضعوه بين يدي الفسطاط ، الذي كانوا
يقائلون امامه ، وخرجت زينب اخت الحسين ، وهي كأنها الشمس
فقال : يا اخياه وابن اخياه ، واكبت عليه فجاءها الحسين وردها
الى الفسطاط

فكان علي اول قتيل من بنى ابي طالب يومئذ .

ثم تابعت قتلى بني هاشم فسقط عبد الله بن مسلم بن عقيل ،
وعون بن عبد الله بن جعفر ، ومحمد بن عبد الله بن جعفر ، وعبد
الرحمن بن عقيل بن ابي طالب ، وجعفر بن عقيل

ثم خرج القاسم بن الحسن بن علي ويده السيف ، وهو غلام
كان وجهه شقة قر ، ، فحمل عليه عمرو بن سعد بن نفيل الازدي
فضرب رأسه بالسيف ، فسقط القاسم الى الارض لوجهه . وهو

يقول : باعاه

فانقض الحسين عليه كالصقر ثم شدَّ شدة ليث أغضب، وضرب
عمرأ بالسيف فانقاه بالساعد فقطعها من المرفق .
وحملت خيل الكوفة ليستنقذوا عمرأ فاستقبلته بصدورها،
وجالت عليه بفرسانها فوطئته حتى مات .
وانجلت الغبرة والحسين واقف على رأس القاسم، وهو يفحص
برجليه ، والحسين يقول :

— بعداً لقوم قتلوك ، ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك .
ثم قال : عز والله على عمك ان تدعوه فلا يجيبك ، او يجيبك
فلا ينفعك ، هذا يوم كثر واتره وقل ناصره ، ثم احتمله على صدره
حتى القاه مع ابنه علي ومن قتل معه من اهل بيته .
ثم جلس الحسين امام الفسطاط ، فأتى بابنه عبد الله وهو طفل
فاجلسه في حجره ، فرماه رجل من بني اسد بسهم فذبحه ، فتلقى
الحسين دمه في كفه ، ولما امتلأ كفه صبه في الارض ، ثم حمله
حتى وضعه مع قتلى اهل بيته

ورمى عبد الله بن عقبة ، ابا بكر بن حسن بن علي
بسهم فقتله

ولما رأى العباس بن علي كثرة القتلى في اهلله ، قال لاختوته
من امه وهم عبد الله وجعفر وعثمان: تقدموا حتى اراكم قد نصحتكم الله

ولرسوله

وتقدم عبدالله فقاتل قتالاً شديداً حتى قتل ، وتقدم
بعده جعفر بن علي فقتل ، ثم قتل عثمان بن علي ، وحمل عليه رجل
من بني ابان بن دارم فاحتز رأسه ، ورمى رجل من بني ابان ايضاً ،
محمد بن علي بن ابي طالب فقتله

وخرج غلام من آل الحسين من خباء من تلك الاخبية وهو
ممسك بعود من عيدانه وهو ينظر كأنه مذعور ، فحمل عليه
رجل قيل انه هاني بن ثبيت الحضرمي فقتله

واشد عطش الحسين ، فدنا من الفرات ليشرب وبين يديه
اخوه العباس ، فاعترضته خيل ابن سعد ، وفيهم حصين بن غير فرمى
الحسين بسهم فوقع في فمه فانتزعه الحسين وجعل يتلقى الدم بيديه
فامتلاّت راحتاه من الدم ، فرمى به الى السماء

ثم رجع الحسين الى مكانه واشتد به العطش ، واحاط القوم
بالعباس فاقتطعوه عنه فجعل يقاثلهم وحده حتى قتل ، بعد ان اثنى
بالجراح فلم يستطع حراكاً .

ولما رجع الحسين الى فسطاطه تقدم اليه شمر بن ذي الجوشن
برجاله ، منهم ابو الجنوب واسمه عبد الرحمن الجعفي ، والقشعم بن عمرو
ابن يزيد الجعفي وصالح بن وهب اليزني وسمان بن انس التخمي
وخولي بن يزيد الاصبحي ، وجعل شمر يخرضهم على الحسين وهو

يحمل عليهم فينكشون عنه ، ثم انهم احاطوا به فاسرع اليه رجل
من كندة يقال له مالك فضربه على رأسه بالسيف ، وكان
عليه قلنسوة فقطعها وادمى رأسه ، وامتلات القلنسوة دماً ، فالتقى
القلنسوة وشد رأسه بخزقة ولبس قلنسوة اخرى واعتم عليها
واقبل الى الحسين عبدالله بن الحسن بن علي وهو غلام لم يراه
فقام الى جنبه وقد اهوى بحر بن كعب الى الحسين بالسيف
فقال الغلام :

— يا ابن الخيثة انتقل عني ؟

فضربه بالسيف فاقفاه الغلام يده ، فقطعها الى الجلد ، فصرخ
الغلام فاعتنقه الحسين وقال له :

— يا ابن اخي اصبر على ما نزل بك فان الله يلحقك بآبائك

الطاهرين

واطلق الحسين بصره الى السماء يناجي الله قائلاً :

« اللهم امسك عنهم قطر السماء وامنعهم بركات الارض ،
اللهم فان متعتهم الى حين ، ففرقهم فرقاً واجعلهم طرائق قديداً ، فانهم
دعونا لينصرونا ، فعدوا علينا وقتلونا »

ثم قاتل من امامه فانكشفوا عنه وبقي الحسين في ثلاثة

رهط او اربعة

ولما قتلوا بقي الحسين وحده وقد اثنى بالجراح في رأسه وبدنه

حمل الناس عليه عن يمينه وشماله ، فحمل على الدين عن يمينه ،
فتفرقوا ، ثم حمل على الدين عن يساره فتفرقوا فما روي رجل
قط ، قتل ولده واهل بيته واصحابه ، اربط جاشاً ، ولا امضى جناحاً
ولا اجرأ مقدماً منه ، اذ كانت الرجالة لتكشف عن يمينه
وشماله ، كلما شد عليها

وينا هو كذلك اذ خرجت زينب وهي تقول : ليت السماء
انطبقت على الارض ونظرت الى عمر بن سعد فقالت : باعمر ، ابقل
ابو عبد الله وانت تنظر ؟

قدمت عيناه حتى سالت دموعه على خديه ولحيته ، وصرف
وجهه عنها .

والحسين يقاتل قتال الفارس الشجاع ، يتقي الرمية ، ويشد
على الخيل وهو يقول :

— اعلى قتلي تجتمعون ، اما والله لا تقتلون بعدي عبداً من
عباد الله اسخط عليكم لقتله مني ، وايم الله اني لارجو ان بكرمني
الله بهوانكم ، ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون

ومكث طويلاً ولو شاء الناس ان يقتلوه لقتلوه ، ولكنهم
كان يتقي بعضهم بعض ، ويجب هؤلاء ان يكفهم هؤلاء ، فلما
رأى ذلك شمر بن ذي الجوشن استدعى الفرسان فصاروا في
ظهور الرجالة وامر الرماة ان يرموه ، فرشقوه بالسهم فاحجم عنهم

فوقفوا بازائه ، فنادى شمر في الناس :

- ويحكم ، ماذا تنتظرون بالرجل ؟ اقتلوه ثكلتكم
امهاتكم

فحملوا عليه من كل جانب ، وضربه زرعة بن شريك التميمي
على كفه اليسرى فقطعها ، وضربه آخر على عاتقه فكبها منها لوجهه
ثم انصرفوا عنه وهو يقوم ويكبو ؛ وحمل عليه في تلك الحال سنان
ابن انس النخعي ، فطعنه بالرمح فصرعه ، وبدر اليه خولي بن يزيد
الاصبعي فنزل ليحتز رأسه ، فارعد

فقال له سنان : فت الله في عضدك ، ونزل اليه وذبحه ، واحتز
رأسه ثم دفعه الى خولي

وفي «المفيد» انما قال ذلك شمر وهو الذي نزل فذبحه ، ثم
دفع رأسه الى خولي بن يزيد

وسلب القوم الحسين ما كان عليه وتركوه مسجى في المراء
وانتهب الناس حله وابله واثقاله ومتاعه ، وسلبوا نساءه ، حتى
ان كانت المرأة لتنازع ثوبها عن ظهرها ؛ حتى تغاب عليه
فيؤخذ منها ، ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة واربع وثلاثون
ضربة غير الرمية .

وكان سويد بن ابي المطاع قد صرع فوقع بين القتلى مشغناً
فسمعهم يقولون قتل الحسين ، فوجد خفة فوثب ومعه سكين وكان

سيفه قد اخذوا فقاتلهم بسكينه ساعة ثم قتلوا وكان آخر قتيل .
ثم انتهوا الى علي بن الحسين زين العابدين وهو مريض شديد
المرض منبسط على فراش ، فاراد شمر قتله ، فقال له حميد بن مسلم
سبحان الله ابقتل الصبيان ؟

وكان مع شمر جماعة من الرجال فقالوا له : لا نقتل هذا
العليل ، ثم جاء عمر بن سعد فحمى النساء وحفظهن من
الاعتداء^(١)

كان عدد من قتل من اصحاب الحسين رضي الله عنه اثنين وسبعين
رجلا ، منهم من اهل بيته اخوته العباس وعبد الله وجعفر وعثمان امهم ام البنين ،
وعبد الله وابو بكر امهما ليلى بنت مسعود الثقفية ، ومحمد ام ولد ، وابناء
علي وعبد الله ، وبنو اخيه الحسن وهم القاسم وابو بكر وعبد الله ، وابناء عبد
الله بن جعفر وهما محمد وعون وبنو عقيل بن ابي طالب وعبد الله بن مسلم
بن عقيل .

وقتل من اصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلا سوى الجرحى
وكان عمر الحسين يوم قتل خمسا وخمسين سنة وقيل احدى وستين
وقيل غير ذلك والاول الاصح والارجح .
وكان قتله يوم عاشوراء اي العاشر من محرم سنة احدى وستين للهجرة
بعد صلاة الظهر .

ولما قتل الحسين ارسل عمر بن سعد رأسه من يومه الى ابن زياد وامر
برؤوس اصحابه واهل بيته فقطعت وكانوا اثنين وسبعين كما قدمنا فسرحتها
سع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الاشعث وعمر بن الحجاج وعروة بن قيس
وقد سار هو لاء برؤوس الشهداء محمولة على الرماح

وكل عمر بن سعد بالقسّاط ويوت النساء وبلي بن
الحسين، جماعة ممن كانوا معه، لثلاً يتقدم احد اليهم بالاساءة ، ثم عاد
الى مضربه فنادى من يتدب الى الحسين فيوطئه فرسه ، فالتدب
عشرة انفسهم ، فداسوا جسد الحسين رضي الله عنه ، بخيولهم حتى
رضوا ظهره وصدره .

و كان النهار قد انتهى او كاد ، والشمس قد اختفت خلف
غمامة ، وهي تأتي ان ترى وجه الارض ما بقي من ذلك اليوم بقية ^(١)



(١) لما رحل عمر بن سعد خرج قوم من بني اسد كانوا نزولا بالقرب
من مكان الواقعة ، الى الحسين واصحابه فصلوا عليهم ، ودفنوا الحسين رضي الله عنه
تقال المفيد : وقبره اليوم حيث دفنه هؤلاء ، ودفنوا ابنه علي بن الحسين
عند قدميه ، وحفروا للشهداء من اهل بيته واصحابه الذين صرعوا حوله مما
بلي رجلي الحسين وجموعهم فدفنوا جميعاً معاً ، ودفنوا العباس بن علي في
في موضعه الذي قتل فيه علي طريق الغاضرية .

اما رأسه فاختلف الرواة في مكان دفنه فبعضهم يقول في دمشق ، وبعضهم
بذهب الي انه ارسل الى المدينة وغيرهم يقول غير ذلك

- ١٣ -

كأنه علم في رأسه نار

جلس ابن زياد في قصر الامارة واذن للناس اذنا عالما ، والرأس الشريف موضوع في طسط بين يديه ، ينظر اليه ككرة ، ويتسم له اخرى ، ويده قضيب ينكث به ثناياه فترة بعد فترة وقد بقي في روعه انه ملك البلد ، ووطد الامر ، وقطع المعارضة .

وكان الى جانبه زيد بن ارقم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو شيخ كبير ، فلما رآه لا يرفع قضيبه قال :

— ارفع هذا القضيب عن هاتين الشفتين فوالذي لا آله غيره
اقد رأيت شفتي رسول الله على هاتين الشفتين بقبلهما .

ثم بكى

فقال له ابن زياد : ابكي الله عينيك ، فوالله لو لا انك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك

فخرج الشيخ وهو يقول : انتم يامعشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة ، وامرتم ابن مرجانة ، فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم

ودخلت زينب اخت الحسين ومن معها علي ابن زياد^(١) متكررة
وعاينها ارث ثيابها ، فجلست ناحية من القصر ، وحفت بها اماؤها
فقال عبيد الله : من هذه التي انحازت فجلست ناحية ومعها
نساءها ؟

فلم تجبه ، فقال ذلك ثلاثاً ، وهي لا تكلمه ، حتى قالت احدى
اماؤها :

— هذه زينب ابنة فاطمة ، بنت رسول الله (صلى الله
عليه وسلم)

فقال ابن زياد : الحمد لله الذي فضحككم ، وقتلكم واكذب
احدوثتكم

فقال زينب : الحمد لله الذي اكرمنا بنيه ، وطهرنا
من الرجس نظهرا ، انما يفضح الفاسق ، ويكذب الفاجر ،

« ١ » اقام عمر بن سعد بعد قتل الحسين رضي الله عنه يومين في كربلاء ،
ثم ارتحل الى الكوفة وحمل معه بنات الحسين واخواته ومن كان معه من
الصبيان وعلي بن الحسين رضي الله عنها مريض ، فلما اجتازوا بهم على مكان
المعركة ، وجسد الحسين الشريف مسجى في العراء ، صاح النساء وصاحت
زينب اخته : « يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء ، هذا الحسين في العراء
مرمل بالدماء ، مقطعم الاعضاء وبنائك سبايا ، وذريتك مقتلة »
وبكت ، فبكى الناس لبكائها ، واحتاج الناس لاهتياجها ، واحس القوم
بجهول ما فعلوا وعظيم ما اكتسبوا من الالئم والعدوان

وهو غيرنا والحمد لله .

فقال : كيف رأيت صنع الله باهل بيتك ؟

قالت : كتب عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم ، فتختصمون عنده

فغضب ابن زياد و : قال قد شفى الله نفسي من طاعتك والعصاة المردة من اهل بيتك .

فبكت زينب رضي الله عنها وقالت : لعمرى لقد قتلت كهلي ، وقطعت فرعى ، واجتثت اصلي ، فان يشفك هذا فقد اشتفيت

فقال : هذه سجاعة ، لعمرى لقد كانت ابوها سجاعاً شاعراً

فقات : ما للمرأة والسجاعة ، ان لي عن السجاعة لشغلاً

واطلق ابن زياد نظره في هذه السبابا من حفدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فابصر علياً بن الحسين فقال له : من انت ؟

فقال : علي بن الحسين

فقال ابن زياد : او لم يقتل الله علي بن الحسين ؟

فقال : كان لي اخ يسمى علياً قتله الناس .

فقال ابن زياد : ان الله قتله

فقال علي بن الحسين : ان الله يتوفى الانفس حين موتها ، وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله .

فغضب ابن زياد وقال : وبك جرأة لجوابي
ثم قال : اني لا اظنه قد ادرك فاذهبوا به واضربوا عنقه
فتعلقت به زينب عمته وقالت :

— يا ابن زياد حسبك منا ، اما رويت من دمائنا
واعتقته وقالت : والله لا افارقه ، فان قتلته فاقتلني معه
ولما رأى ابن زياد ذلك منها تركه ، وقال
دعوه لما به .

وقام ابن زياد من مجلسه فمشى الى المسجد ونادى الصلاة جامعة
فاجتمع الناس فصعد المنبر فخطبهم ، وقال :
« الحمد لله الذي اظهر الحق واهله ، ونصر امير المؤمنين
يزيد بن معاوية وحزبه ، وقتل الكذاب بن الكذاب الحسين بن
علي وشيعته »

فوثب اليه عبد الله بن حنيف الازدي - وكان ضربه أقدم
ذهبت احدي عينيه يوم الجمل مع علي ، واثنانية بصفين معه ايضاً ،
وكان لا يسكاد يفارق المسجد يصلي فيه الى الليل ثم ينصرف
فقال :

يا ابن مرجانة ، أتقتل أبناء النبيين وتقوم على المنبر مقام
الصدقين ، ان الكذاب انت وابوك والذي ولأك وابوه .
فقال ابن زياد : عليّ به .

فاخذته الجلاوزة ، فنادى بشعار الازد : « يامبرور » فوثب
اليه فتية من الازد ، فانتزعوه ، ولما كان الليل ، ارسل اليه من اتاه به
من يته ، فقتله وامر بصلبه ، فصلب

ولما اصبح ابن زياد امر برأس الحسين رضي الله عنه فطيف
به على رمح في الكوفة ، ثم انفذوه مع رؤوس اصحابه الى يزيد
ابن معاوية ، وامر بنسائه وصبيانته ، فجهزوا وحملوا على الاقتاب ،
وسرح بهم الى دمشق ، وعلي بن الحسين مقيد مغلول اليدين .
فلما مثلوا بين يدي يزيد وامامه الرأس الشريف ، تطاولت
فاطمة وسكينة ابنتا الحسين رضي الله عنهما ينظران الى الرأس
والدموع هائلة ، والافئدة واجدة ، والقلوب مضطربة ، واحس
يزيد بذلك ، فاضطرب وجعل يتطاول بدوره ليستر الرأس عنهما
وراح يحاول تهدئة روعهما مبرراً نفسه قائلاً : ان ذلك كان بغير
علمي ، ولو كان الامر معه لعفى وصفح ، وحلم وسجج ^(١) ولما دخل
عليه علي بن الحسين مغلولاً امر بفك غله وقال له :

(١) امر يزيد عامله بقطع راس الحسين « اليه قوبي جلد (٢)

- ابيه يا ابن الحسين ابوك قطع رحمي ؛ وجهل حقي ونازعني
سلطاني ، فصنع الله به ما رأيت
فقال له علي رضي الله عنه : كل مصيبة مسطورة في كتاب الله
ونلا الآية :

« لكيلا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله
لا يحب كل مختال فخور »

ثم امر يزيد بانزاله وانزال النساء في دار على حدة تتصل بداره
ولما لبث اياماً حتى اوفدهم الى المدينة ، بعد ان جهزهم بما يصلحهم ،
وارسل في خدمتهم بعض رجاله ، وامرهم بالمحافظة عليهم والتلطف
في خدمتهم ورعايتهم ، وعوض عنهم ما فقدوه في المعركة ، وما
سلبه منهم جماعة ابن زياد ، ذلك القاجر الذي مزق الوحدة
الاسلامية وجعلها شيعاً ، مما لا نزال نرى آثاره ظاهرة حتى
يومنا هذا .

ولقد استعظم نساء يزيد فعلته ، واستكبر هو نفسه الامر ،
وكانت قد صفت حال ابن زياد عنده لما وصل رأس الحسين ، وظن
انه قد حسنت له ملكه ، وذل له الرقاب ، فلم يلبث الا يسيراً حتى
بلغه بغض الناس له ولعنه اياه ، فقدم على قتل الحسين وراح يقول :
« ما علي لو احتملت الاذى ، وانزلت الحسين معي في داريه »

وحكمته فيما يريد ، وان كان علي في ذلك وهن في سلطاني ، حفظاً
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورعاية لحقه وقرابته ، لعن الله ابن
 مرجانة ، فانه اضطره ، وقد سأله ان يخلي سبيله ويرجعه فلم يفعل ،
 او يضع يده في يدي ، او يلحق بشعر حتى يتوفاه الله ، فلم
 يجه الى ذلك وقتله ، فبغضني بقتله الى المسلمين ، وزرع في قلوبهم
 العداوة والبغضاء »

ومما يجب ان يصار الى ذكره في هذا الباب ما ظهر من زينب
 بنت فاطمة واخت الحسين صلوات الله عليهم من جرأة وثبات
 جأش ، في مواقفها هذه يوم المعركة ، وعند ابن زياد ، وفي قصر
 يزيد ، فانها لما مثلت وعيال الحسين عليه السلام امام يزيد ، قام
 رجل من اهل الشام وطلب من يزيد ان يهب له فاطمة بنت علي
 رضي الله عنه - ويقول المقيد انه طلب فاطمة بنت الحسين
 فاخذت هذه بثياب عمتها زينب ، فقالت زينب للشامي :
 - كذبت ولوئمت ، ما ذلك لك ولا له

فغضب يزيد وقال :

- كذبت ؟ ان ذلك لي ، ولو شئت لفعلت .

قالت : كلا والله ما جعل الله لك ذلك ، الا ان تخرج من

ملتنا وتدين بغير ديننا .

فاستطار يزيد غضباً وقال :

- اياي تستقبلين بهذا ؟ انما خرج من الدين ابوك واخوك .
قالت زينب : بدين الله ودين اخي وجدي اهتديت ، انت
وابوك وجدك .

فقال يزيد : كذبت يا عدوة الله .

قالت : انت امير نشتم ظالماً وتقر بسلطانك .

فاستعجى يزيد وسكت عنها

تولى على المدينة ذهول عميق ، وروعة عظيمة ، لما استطار الخبر
بين اهلها بقتل الحسين وكثير من اهلله ، فصاح نساء بني هاشم ،
وخرجت ابنة عقيل بن ابي طالب ومعهما نساؤها حائرة نصيح
وتبكي وتقول :

ماذا تقولون ان قال النبي لكم ماذا فعلتم وانتم آخر الامم
بعترتي وباهلي بعد مفتقدية منهم اسارى وقلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزئي اذ نصحت لكم ان تخلقوني بسوء في ذوي رحمي

فلما سمع عامل يزيد على المدينة عمرو بن سعد اصواتهن ضحك
وصعد المنبر فاعلم الناس بقتل الحسين^(١)

ولما بلغ عبد الله بن جعفر قتل ابيه ، استرجع ، فدخل عليه

«١» قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعد بعد ذلك قتلة فظيمة

بعض مواليه والناس بعزونه فقال :

- هذا ما لقينا من الحسين

فحذفه ابن جعفر بنعله وقال :

- يا ابن اللخناء ، أألحسين تقول هذا ؟ والله لو شهدت

لاحيت ان لا افارقه حتى اقتل معه ، والله انه لما يهون علي المصاب

بهما انها اصيبا مع اخي وابن عمي ، مواسين له صابرين معه ، وان

لم تكن آتت الحسين يدي ، فقد آسأه ولداي

اما قتلة الحسين رضي الله عنه ، فقد ثوابت الاخبار بانه لم ينج

احد منهم ، فمنهم من قتل ، ومنهم من جن ، ومنهم من اصيب بيل

افتضح به قبل موته .

وروى ابن الجوزي ^(١) عن الزهري فقال :

- ما بقي احد منهم الا وعوقب في الدنيا ، اما بالقتل او بالعمى

او سواد الوجه ، او زوال الملك في مدة بسيرة

وقال ابن تيمية ^(٢) : اما قول الزهري : « ما بقي احد من

قتلة الحسين ، حتى عوقب في الدنيا فهذا ممكن ، وامرع الذنوب

عقوبة البغي ، والبغي على الحسين من اعظم البغي

(١) تذكرة خواص الامة صفحة ١٥٨

(٢) منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ٣٥٠

وقال ابن كثير^(١) :

« واما ما روي من الامور والفتن ، التي اصاب من قتله
فاكثرها صحيح ، فقل من نجا منهم في الدنيا الا اصاب بمرض
واكثرهم اصابه الجنون

ولما وثب المختار بن ابي عبيد الثقفي في الكوفة ، واستتب له
الامر ، قتل من قتلة الحسين ، او من كان في الجيش الذي ذهب
لمحاربته مائتان واربعون رجلاً في يوم واحد ، وكان عمرو بن
الحجاج الزبيدي ممن شهد قتل الحسين فهرب ولا يعلم اين ذهب ،
ويقال ادر كه اصحاب المختار فذبحوه

وهرب شمر بن ذي الجوشن فلاحقه جماعة المختار وقتلوه
وتابع المختار قتلة الحسين ، فكانوا يؤثوث حتى يوقفوا
بين يديه ، فيأمر بقتلهم انواعاً من القتل بما يناسب ما فعلوا ، منهم
من احرقه بالنار ، ومنهم من قطع اطرافه وعمره حتى مات ، ومنهم
من رمي بالنبال حتى مات .

وبعث المختار الى خولي بن يزيد الذي رام ان يحتز رأس
الحسين في المعركة ثم حمله الى ابن زياد ، فحملوه اليه
بعد ان انتزعوه من مخبأه ، فامر بقتله ثم احرقه ، حتى عاد

زماًداً .

وفعل مثل ذلك بكثيرين ممن شهدوا مقتل الحسين ؛ وحملوا
سيفاً ، وفانلوا اصحابه ، فقتلهم جميعاً ، ثم قتل عمر بن سعد قائد جيش
ابن زياد واتبعه بابنه .

وكان المختار اذا طلب شخصاً من الذين شهدوا مقتل الحسين
ولم يعثر عليه - لان بعضهم تمكن من الهرب الى البصرة
بهدم داره واحرقها .

ثم بعث المختار ابراهيم بن الاشتر لقتال عبد الله بن زياد ،
واخرج معه فرسان اصحابه واهل البصائر والتجربة ، وكان ابن
زياد قد سار في عسكر عظيم من اهل الشام ؛ فلما التحم الجيشان
تمكن ابن الاشتر وجيشه من اصحاب ابن زياد فهزموهم وقتل ابن
زياد في المعركة ، قتله ابن الاشتر بضربة سيف فقطعه نصفين ،
فاحتزوا رأسه وروؤوس اصحابه امثال الحصين بن نمير ، وشرحبيل
ابن ذبيبة الكلاع وغيرهم وارسلوها مع بشائر النصر الى المختار
في الكوفة .

فلما انتظمت الروءوس بين يديه بعث برأس ابن زياد وعمر بن
سعد الى علي بن الحسين رضي الله عنهما

فلما القيت الروءوس بين يديه خر ساجداً ؛ وقال : « الحمد
لله الذي ادرك لي تأريء من اعدائي »

وكذلك اهلك الله سبحانه وتعالى كل من شهد مقتل
الامام الحسين رضي الله عنه ، او رفع رمحاً في حربه ، او ضرب بسيف
في قتاله .



في سبيل الوعدة الإسلامية

لقد انتهيت من كتابي هذا ، وكل شيء حولي هادي ، مطمئن
ولولا رياح الجو التي تعصف حول غرقتي ، لغمرني موضوع كتابي
هذا ، وانساني من حولي من الناس

ان في كل ما بسطته من سيرة الامام «الشهيد» ما يدفع الى
الثورة النفسية ، ويستثير عواطف الغضب والغيظ ، ويبعث المؤرخ
على التساؤل ، فيما اذا لم يكن بين رجال الاسلام ، في هذا
العصر الذي توفرت على وصفه ، من يتفهم الموقف وبطني ، هذه
النار التي استطارت في كربلاء فغمرت الاسلام من اقصاه الى اقصاه
وراحت تمزق من وحدته ، وتمعن في التفرقة والحصومة بين ابناءه ،
ورجاله ؟

الم يكن هناك من يتصف للحق ، ويدافع عن المظلوم ؟
أبدلت الارض غير الارض ، واصبح الناس وكأنهم ليسوا
من اولئك الذين كانوا لا ينامون على ضميم ، ولا يسكنون على
معصية ؟

ألم يكن في الاسلام عهد الامام الحسين الالهة المصيبة الصغيرة ، التي مشيت نويدة وتنصره وتدافع عنه ، منكورة ان يكون الحكم الا للمسلم الصالح ، والامام العادل ، والخليفة الطاهر ؟

ألم يكن هناك بين رجالات الاسلام من يعلم ان الحسين الذي كالبكيدون له ، ويسعون به ، احرص من هؤلاء الذين دفعوهم لقتاله وحربه على سلامة الاسلام والتمكين له في الارض ، واقدر منهم على ذلك ، واحسن بلاء في حمايته والذود عنه ؟

ولكنها الاقدار أبت غير ما تبسطنا في وصفه ، فكان ما كان من تمزق الشمل ، ونشأت الال ، وانقطاع الاسباب ، ومن حق المسلمين بعد ذلك ان يتفهموا هذا ويتدبروه ، وان يعلموا ان الامام انما كان يجاهد في سبيل فكرة ويسعى لمبدأ ، وانه انما راح بطالب بالخلافة لعلمه بانه احق بها ، واقدر على الخدمة فيها ، من يزيد وغير يزيد ، وانه ابعد من ان يرضى بما وقع بعد ذلك من انقسام وتفرقة ، وان الواجب بقضي عليهم جميعهم بلم شعثهم ، وجمع كلمتهم ، والاتفاق بدأ واحدة في سبيل الله ، وفي سبيل محمد .

وتقد تكلفت انشاء هذا الكتاب ، وتكلفت ادارة المكتبة

الاهلية طبعه ونشره ، وكل غايته ان تصور للملا من المسلمين
 والقراء ، صورة صادقة عن الحسين (صلوات الله عليه) وعهده ،
 وان نقص عليهم في ما سلف في فصول ، ما كان يضطرب في هذه
 الحياة من جهود ورغبة في الخدمة العامة ، واعلاء شأن الدين ،
 ورفع رايات الاسلام في ما يلي امصار العربية من اقطار وامصار ،
 وان نتولى بعد ذلك بالبحث والتدقيق حديث الشهادة ، ووقائع
 المعركة بالاصدق من الاخبار ، والاصح من الاقوال ، ثم نعرض
 للاسباب التي دعت الامام الحسين الى المسيره نحو الكوفة والتشمير
 الى العراف واهله ؛ وان نسوق القول في غايته ، وما كان
 يعتور في نفسه وبضطرب في قواعده من رغبة صادقة — في توحيد
 الكلمة ، ولم الشعث ، لان المسلمين عهد يزيد لم يكونوا صوناً
 واحداً ، ولا كلمة واحدة في تأييد ملكه ، وتعزيد امارته ، ولو
 ولي الملك الحسين (رضي الله عنه) لكان موقفهم غير هذا ،
 ولا بدوه وصدقوه وعاهدوه وبابعوه ؛ وهو ما حمل الامام الحسين
 على ترشيح نفسه ، ودفعه الى قبول ما يهتف الناس له واذا كان الامر
 كذلك فلا يصح والحالة هذه ان يضطرب المسلمون بعد الكارثة
 شيعياً ، وان يتقسموا سبلاً ، بل من الحق كل الحق ، ان يتوفروا
 على القيام بعهد الحسين الشهيد ، وان يعملوا لما كان يعمل ، من
 الوحدة والاخوة

وكل أملنا ان يلاقي كتابنا هذا ، ما يستحقه من
 تأييد ، وان يسير سبيله بين المسلمين موحداً صفوفهم ، موئبداً
 رغبة الامام في الوحدة ، عاملاً على اقرار رغائبه ومبادئه وما كان
 يعمل له ويسعى اليه .

انتهى الكتاب

مساء الاربعاء في ٢١ شعبان ١٣٥٣

خطأ مطبعي

وقع في كتابنا هذا بعض اخطاء مطبعية لا قيمة لها وقد رأينا
ان نشير الى بعضها ليصير اصلاحها قبل قراءة الكتاب:

مطر	منحة	خطأ	صواب
١	٢٥	اذا	واذا
١١	٣٢	ولانه يوء يءما كته	ولانه يوء يءذلك وهذا ما كته
١٩	١٠٤	البئر العلى	البئر اللعن



فهرس الكتاب

صفحة فصل	صفحة فصل
٧ ٦٣ جاسوس بن زباد	٥ مقدمة الكتاب
٨ ٧٤ مقتل رسول الحسين	٩ مصادر الكتاب
٩ ٨٩ في طريق الكوفة	١ ١١ آل البيت والخلافة
١٠ ١٠٠ ولما ثراءى الجيشان	٢ ١٦ الامام علي بن ابي طالب
١١ ١١٨ كرب - وبلاء	٣ ٢٤ معاوية بن ابي سفيان
١٢ ١٣١ شهيد في العراق	٤ ٣٥ الحسين بن علي
١٣ ١٤٠ كأنه علم في رأسه نار	٥ ٤٦ يزيد بن معاوية
١٤ ١٥٢ في سبيل الوحدة العربية	٦ ٥٣ كتب ورسل من الكوفة

للمؤلف

الكتب المطبوعة

تاريخ سورية ولبنان حتى اوائل القرن التاسع عشر
 في القرن التاسع عشر
 في دولة الادب والبيان
 رجال الجمهورية
 كتاب في النقد والادب والوصف
 لبنان ١٩٢٦ - ١٩٣٣

هرون الرشيد
 تيمور لنگ
 فيصل ملك العراق
 الامير عبد الكريم
 ماذا يجب ان تعرف عن محمد والاسلام مترجم عن الافرنسية
 محمد النبي العربي
 خالد بن الوليد
 ابو بكر الصديق
 الحسين بن علي حفيد رسول الله

حسن
 قصة عربية شرقية
 الروايات البوليسية الوطنية
 مجموعات البوليس في ثلاث مجلدات

اسماء مطبوعات - المكتبة الراهلية

في بيروت (مرتبة على حروف الهجاء)

١٩	الدروس العربية	ثانية	١	ابن سعود
٢٠	" "	ثالثة	٢	ابو بكر الصديق
٢١	" "	رابعة صرف	٣	الاسلام روح المدنية
٢٢	" "	" نحو	٤	بلوغ الارب في احوال العرب
٢٣	دروس الفقه		٥	تحت راية القرآن
٢٤	ديوان عمر بن ابي ربيعة		٦	تيمورلنك
٢٥	ديوان الرصافي		٧	الثريا المضية
٢٦	ديوان القرزدي		٨	خالد بن الوليد
٢٧	جميل بثينة		٩	دروس التاريخ الاسلامي اول
٢٨	ذي الرمة		١٠	" " " ثان
٢٩	امية بن ابي الصلت		١١	" " " ثالث
٣٠	الناطقة الديباني		١٢	" " " رابع
٣١	رجال المعلقات العشر		١٣	" " " خامس
٣٢	سفينة نوح		١٤	دروس الدين والاخلاق
٣٣	سيف الدولة (رواية)		١٥	دروس الصرف والنحو اول
٣٤	العروة الوثقى		١٦	" " " ثان
٣٥	عظة الناشئين		١٧	الدروس العربية سلم
٣٦	غابر الاندلس وحاضرها		١٨	" " " اولي

٤٧ محمد النبي العربي	٣٨ غرائب الغرب بجزآن
٤٨ محمد رسول الهدى والرحمة	٣٨ القاروقى عمر بن الخطاب
٤٩ محمد والمرأة	٣٩ فحول الشعراء
٥٠ مصطفى كمال المثل الاعلى	٤٠ فيصل ملك العراق
٥١ النبوغ	٤١ كشكول جمال اول
٥٢ نخبه من الكلام النبوي	٤٢ ثمان
٥٣ نظرات في السفور والحجاب	٤٣ ثالث
٥٤ نظرات في اللغة والادب	٤٤ كليله ودمنه (مصورة)
٥٥ هرون الرشيد	٤٥ لباب الخيار في سيرة المختار
	٤٦ ماذا يجب ان تعرف عن محمد والاسلام

للمكتبة (بياناً) - قائمة - تنشره في كل عام
لترسله - مجاناً - الى من يطلبه